الباب المغلق

بين الأقباط والمسلمين

أحمد الخميسى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

تبدو الكتابة فى هذا الموضوع الشائك الذى تتناوله فصول هذا الكتاب أقرب إلى الكتابة العلمية الجافة، لكنها عند أحمد الخميسى تنحو نحواً مختلفاً، حيث استخدم مهاراته الفنية وخبراته كروائى متمرس، فبَدَتِ الكتابة وكأنها عمل سردى يأخذ بلب القارىء منذ السطور الأولى وحتى نهاية الكتاب.

ترى هل يستطيع الكاتب دفع هذا الباب المغلق بين المسلمين والأقباط؟، إنه يتكىء على إرث حضارى ضارب فى التاريخ لشعب أضاء النور للعالم كله، فهل أضحى هذا الباب عبئاً ثقيلاً على الشعب المصرى بحيث يعجزون عن فتحه فيتحد شطرا الأمة ليصبحا شيئاً واحداً؟

هذا الكتاب يؤكد أن حضارة المصريين غالبةٌ على كل فرقة، وأنه بإمكانهم تخطية هذه العتبة المريرة، بل هدمها، إنه يدعونا أن نواجه هذه البغضاء وتلك الكراهية اللتين علقتا بثياب المصريين، ويضع على كاهل المثقفين هذه المهمة؛ فهم ضمير الأمة ووجدانها الصاحى.

كتاب شائق، تقرأه مرة ومرة ومرة، لكاتب يغمس قلمه فى مداد الروح، فيُخرج سطورا مضفرةً بألق الأمل فى مستقبل باذخ لأبناء هذا الوطن.


ISBN# 9789772071166


الهيئة المصرية العامة للكتاب

الباب المغلق
بين الأقباط والمسلمين

أحمد الخميسى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠١٢

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد مجاهد

اسم الكتاب : الباب المغلق
بين الأقباط والمسلمين
اسم المؤلف : أحمد الخميسى

حقوق الطبع محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب

الإشراف الفنى والغلاف : صبرى عبد الواحد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www.gebo.gov.eg
email:info@gebo.gov.eg

الخميسى، أحمد.

الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين/ أحمد الخميسى. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٢.

١٨٠ص ؛ ٢٢سم.

تدمك ٦ ١١٦ ٢٠٧ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ الدين والدولة.

أ ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٩٦٧/ ٢٠١٢

I. S. B. N 978 - 977 - 207 -116 - 6

ديوى١ ,٣٢٢

إهداء

إلى ابنتى هانيا الخميسى..
وإلى نورا ابنة حسام حبشى.. الغاليتين عندى، مثل الغد، ومثل الأمس.

مقتطفات من مقالات عن الكتاب

- ١ -

«الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين» هذا هو عنوان واحد من أجمل ما قرأت فى الوحدة الوطنية بأسلوب روائى آسر يجعل القارئ يأتى على فصوله فى جلسة واحدة دون توقف. فكاتبه لا يتمتع فقط بروح وطنية عالية، وليس فقط بالتزام إنسانى رفيع، وإنما هو فى الوقت ذاته أديب مخضرم من أسرة شاعرة، وإن كان له بصمته المتفردة عن سائر أقربائه الكبار من الكتاب الشعراء. هو الدكتور أحمد الخميسى الذى لا يمهر كتاباته ولا عموده الأسبوعى فى "أخبار الأدب" بلقبه العلمى، حتى يقرب المسافة بينه وبين قارئه، بينما ما يكتبه يبز أكثر ما يدونه أفضل الأكاديميين، ولكن بأسلوب جزل محبب ينساب

إلى عقل وقلب القارئ بلا حواجز أو عبارات «مكلكعة».

د. مجدى يوسف
مستشار هيئة اليونسكو فى شأن الحوار بين الثقافات
جريدة القاهرة

-٢-

«الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين» كتاب جديد لقصاص وكاتب نادر، جوهرة يصقلها العمل والالتزام والاستقامة هو أحمد الخميسى، الذى يبدأ كتابه هذا وكأنه مشروع قصصى فى موضوع ساخن، ثم يسير فى تتابع يشمل ١٧ قطعة متصاعدة تجمع شتات ظاهرة الفتنة الطائفية أو الوحدة الوطنية أو الأحداث المؤسفة أو الواقع الاجتماعى والثقافى المختل باسم التدين الجديد الذى يحجب الوحدة والإبداع والسلام الاجتماعى والتقدم. كل هذا الموضوع الواسع المتشعب يقدمه أحمد الخميسى فى شجاعة واختصار واقتصاد فى رسمه وطرح جوانبه وتسجيل وقائعه والإشارة إلى الأعمال الأدبية التى تناولته.

علاء الديب
جريدة القاهرة

تقديم

هذا الكتاب مجموعة مقالات ترصد على مدى عشر سنوات تقريبًا مظاهر الطائفية والتمييز الذى يهدد الوحدة الوطنية المصرية، وموقفى من ذلك، وفهمى لأسبابه. ولا أزعم أن تلك المقالات مساهمة نظرية أو فلسفية فى موضوع العلاقة بين مسلمى مصر وأقباطها، وهو موضوع كتب فيه الكثير، لكن كل ما أردته أن أدفع مع الآخرين الباب المغلق ولو دفعة صغيرة علّه ينفتح فى الضمائر والنفوس.

أحمد الخميسى

القاهرة

مقدمة

أحمد بهاء الدين شعبان

إذا عم الظلام

لا يدافع «د. أحمد الخميسى»، فى كتابه هذا: «الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين»، عن أقباطها، كما قد يظن البعض، إنما يدافع - وفى الأساس - عن مصر، بمسلميها ومسيحييها: مصر التى لا تفرق بين أحد من بنيها، ولا تميز فى عطائها بين أبيض أو أسمر، صاحبة الإرث الأخلاقى والحضارى العظيم، الشعب الذى منح البشرية جمعاء فيضاً لا يتوقف من المبادئ الإنسانية الهادية التى ظلت نبراساً للكون كله، منذ «فجر الضمير»، وحتى الآن، ودفاع د. الخميسى

عن مصر، هو دفاع بليغ، لأنه مكتوب بذوب القلوب لا بحبر الأقلام ولأنه يصدر عن محب ولهان، يرى حبيبه فى مهب العواصف، تكاد تذهب به رياح السَّمُوم، وتقتلعه «بولدوزرات» الجهل، والتعصب، والعنصرية وكراهية الفكر، وروح الانتقام، فيصرخ صرخة التنبيه والتحذير، يوجهها إلى كل المخلصين لهذا الوطن، يستصرخهم حتى يغادروا سكونهم المطمئن، ولكى يتحركوا قبل فوات الأوان!

وعلى تعداد ما قرأته فى الآونة الأخيرة من إبداعات فكرية وأدبية، أعترف بأن قصة «الباب المغلق» التى يفتتح بها الدكتور أحمد الخميسى كتابه، قد مست وجدانى بشكل عز نظيره قرأتها أكثر من مرة، وفى كل قراءة تتبدى لى أعماقها الدفينة، فتمنحنى شجناً رفيفاً حتى لتكاد الدموع تطفر من مآقىّ، وأنا أتصور حال الأستاذ موريس وزوجته مدام جانيت، فى جهة باب شقتهما، والطفلة البائسة، اليائسة هدى فى الجانب الآخر، وهم يبكون، هنا وهناك، على طرفَى «الجدار العازل»، والذى صنع من قساوة البشر، ومن غلاظة القلوب، ومن سوء فهم لسماحة الدين ونبله وسمو غاياته، وتكاد أيديهم تسابق أفئدتهم لاقتلاع هذا الجدار، لولا خشية جيوش الظلام التى صورت ائتناس الأسرة القبطية، المحرومة من الإنجاب، ببنت «البواب» الطفلة، التى

مات عائلها وتركها - فى الدنيا - وحيدة، بأنه اعتداء على الدين لا يجب القبول به، ففرقوا بين القلوب المحبة، مع أن «الله محبة»، وهو «الرحمن الرحيم»، وتنتهى القصة بهذه «اللقطة» التى لا تنسى أبداً: «البنت ملتصقة بالباب المغلق تخمشه كالقطة وتبكى: أنا زعلتك فى حاجة ياعم موريس، والنبى دخلنى دخلنى والنبى، وفرت دموع عم موريس وراء الباب المغلق «وهو» يقول: ما أقدرش يا بنتى.. والعدرا ما أقدر، والنبى، والعدرا، والنبى، والباب مغلق وخلف كل ناحية شخص وحيد بحاجة للآخر!».

قصة بديعة، شديدة التكثيف، تستدعى إلى الذهن- ومالى أتحرج فى أن أقول هذا- رائعة «تشيكوف»، «موت موظف». لكن كتاب «د. أحمد الخميسى»، ليس عملاً أدبياً خالصاً، فهو يتضمن - إضافة إلى هذا البعد- مجموعة دراسات مهمة للغاية، تتناول مشكلة العلاقة المأزومة بين أقباط مصر ومسلميها، وتحاول أن تتلمس سبل الخروج من هذه الأزمة الممتدة، التى تخترم المجتمع كله، وتزرع الريب والشكوك فى ثناياه، وتشى بترسبات خطرة تنتشر فى خلاياه، وتجرى فى مجرى دمائه، فتشل قدرته على الفعل والحركة.

يرصد الكاتب تحولات العلاقة بين المسلم والمسيحى فى مصر، منذ عهد "محمد على" وإلى

الآن! فحتى بعد خمسين عاماً من تسلمه السلطة، عام ١٨٥٥، كان الانخراط فى سلك الجندية محرماً على الأقباط، يستبدل به دفع «الجزية»، رغم أنه ألغى تمييزهم بزى خاص، معلناً أن القبطى والمسلم يستطيعان أن يقدما للبلاد أفضل الخدمات، وقد ألغى سعيد باشا الجزية، لكن انخراط الأقباط فى حُمَيًّا ثورة ١٩١٩ كان ميلاداً جديداً للوطنية المْصرية الجامعة، تحت الشعار الخالد «الدين لله والوطن للجميع»، وتردد فى آفاق مصر هتاف الثورة الأعظم: «يحيا الهلال مع الصليب»، مجسداً أروع صور الانصهار فى البوتقة الوطنية، والوحدة خلف قضية استقلال الوطن وتقدمه، وهو ما تبلور فى بنود دستور ١٩٢٣ الذى كفل مساواة المصريين جميعاً.

وفى ظل هذه الروح الجديدة التى غمرت البلاد، لم يكن مفاجئاً أبداً أن ينتخب المصريون، مسلمين ومسيحيين، «ويصا واصف»، رئيساً لمجلس النواب، دونما تبرير أو علامة!، وهى ذات الروح التى ظلت سارية فى أركان مصر المحروسة فى ظل مشروع «الدولة الناصرية» الوطنى، رغم أى سلبيات، حتى أتى "السادات" بانقلاب مايو ١٩٧١، لكى يستدعى من أضابير فترات الانقلاب على الدستور وحكم الأقليات، شعارات التفرقة بين المصريين على أساس الدين، واستخدامه كسلاح لمواجهة خصومه من اليساريين

والـنـاصـريـين، فـأصـبـح فـهم الـدين، الـذى هـو للإله الواحد، سـلاحاً لتمزيق الوطن الواحد، وتشكلت فرق الترويع فى الجامعة، باسم الإسلام، على أيدى أجهزة الأمن للإجهاز على أعداء النظام، وبدأت موجات أحداث «الفتنة الطائفية» المتواترة: «الزاوية الحمراء، الكشح، سوهاج، عين شمس... إلخ»، ثم وصلت هذه الأحداث إلى ذروتها فى أحداث الإسكندرية الشهيرة.

وعلى مدى أكثر من ثلاثة عقود تبدلت مصر السمحة المتعايشة إلى صورة مختلفة، جافة وبائسة.. وانقسم المجتمع إلى مجتمعين، انداز كل طرف منهما على ذاته دون ضرورة موجبة تقتضيها الطبيعة أو شروط الحياة، وانكفأ الأقباط على أنفسهم يجترون أوجاعهم إزاء عملية الشحن الطائفى المستمرة، بل ربما لجأ بعضهم إلى ذات السلاح، ويدمى به جسده قبل أن يدمى جسد الشقيق فى الوطن، الذى أصبح «آخر» ينظر إليه بشك وتوجس.. وتآكلت اللُّحمة الجامعة لنسيج الوطن الواحد واعتراها العطب، فيما كان الوطن ذاته ينهب، وتجرف منابع الثروة والإبداع فيه، وتستنزف قدراته وترحل إلى خارجه، فى عملية قرصنة منظمة جعلته عارياً، مكشوفاً، هشاً، عاجزاً، فى مواجهة الآخر الحقيقى، المغاير الفعلى، الذى يتربص به، ويسعى لوراثة دوره التاريخى الكبير.. ويهت صوت «سيد درويش»، فنان الشعب، وهو

يصدح: «اسمع اسمع منى كلمة/ إن كنت صحيح بِدّك تخدم/ مصر أم الدنيا وتتقدم/ لا تقول نصرانى ولا مسلم/ اللى أوطانهم تجمعهم/ عمر الأديان ما تفرقهم»!

لكن «أحمد الخميسى» لا يتركنا فى حيرتنا أو يدعنا نهباً لليأس وفقدان الأمل، بل على العكس، يضع على كاهلنا مسئولية جسيمة، مسئولية الدفاع عن روح مصر، عن «الضفيرة» الوطنية التى تجمع مكوناتها فى «نسيج» واحد، فى مواجهة «هذا المناخ المشحون بالبغضاء والتربص، وتقديس الشكل الدينى دون الجوهر».. وفى ظل غيبوبة الدولة التى عاشت حتى ٢٥ يناير، وربما تواطئها، وغياب الأحزاب السياسية، يهيب الكاتب بالمثقفين أن يتحركوا للدعوة إلى مؤتمر، أو أكثر من مؤتمر، ليضعوا بعد نقاش مطول توصياتهم صراحة بهذا الشأن، مع طرح المشكلة كما هى فى واقع الأمر، دون تمويه على أوضاع الأقباط، أو تجميل للواقع القبيح الذى يولد التعصب فيه من رحم الجهل والفقر والتخلف».

وبعد، فهذه الإطلالة السريعة على كتاب «د. أحمد الخميسى» الجميل، لا تغنى عن مطالعته، والتمعن فى سطوره، وقراءة كل حرف فيه بتمعن وبعمق، يكافئ ما كابده الكاتب فى تسطيره من جهد وكمد، وما حواه من بكارة وإبداع، وما طرحه من قضايا، وما فتحه من

آفاق. إنه نداء للحياة فى مواجهة الموت، وللسماحة فى مواجهة «الطائفية التى سوف تتغذى على الفقر والجهل المتزايدين، أو على التسلط والاستبداد المتفشيين»، وتصبح وحشاً، تطعمه قوى داخلية وخارجية، ليصبح قادراً على ابتلاع ما تبقى من مصر!»، وهو انحياز للنور فى مواجهة الظلمة، ولروح الوطن التى تجاهد للانعتاق!.. وقى الله أرض مصر الغالية من القوى التى تتربص بها، وحماها شعبها مما يحاك لها من مؤامرات وفتن، ومن سيادة «ثقافة الكراهية العامة»، إنه كتاب نحن فى أمسّ الحاجة إليه الآن، لكى لا يبقى الباب مغلقاً أو خلف كل ناحية شخص وحيد بحاجة للآخر!

أحمد بهاء الدين شعبان

* * *

باب مغلق

فى شقة صغيرة بالطابق الأول من عمارة فى حى الظاهر سكن الأستاذ موريس، المحاسب فى أحد البنوك مع زوجته مدام جانيت التى تعمل فى مدرسة تعليم لغات أجنبية. الاثنان تجاوزا سن الإنجاب دون أن ينجبا، لكنهما قانعان بحياتهما التى تمضى فى هدوء وتتخللها نزهات وزيارات يوم الإجازة. فى العمارة محمود البواب الذى جاء من أسوان منذ زمن وعاش أسفل السلالم وحده مع ابنته الصغيرة هدى التى كانت تشترى للسكان، وبخاصة لمدام جانيت الحاجات من المحلات الواقعة أمام العمارة. موريس وجانيت - المحرومان من الأولاد - أحسا بميل وبعطف على البنت الصغيرة التى لم تكن تطلب شيئا حين تعود إليهما من المحل وتكتفى بابتسامة واهنة، سعيدة بكل

ما يعطى لها، سواء أكان ورقة نقدية أم نصف رغيف خبز بداخله قطعة لحم. فى أوقات المغرب كان يحدث أن تأتى هدى بشاى أو خبز للأستاذ موريس، وتكون الشقة خالية من الضيوف، فتقول لها مدام جانيت: اقعدى يا هدى استريحى وأنت طالعة نازلة طول النهار. فتجلس هدى فقط على حافة الفوتيه، كأنها تخشى أن تجلس عليه كله، تبحلق فى التليفزيون بصمت، فإذا قدمت لها مدام جانيت قطعة كيك صغيرة قضمت منها من دون أن ترفع بصرها عن الشاشة، وتظل جالسة هكذا إلى أن تسمع صوت والدها ينادى عليها لأن أحد السكان فى الطابق الثالث أو الرابع يطلب شيئا من المحلات، حينئذ تفز هدى، وتهرول، وتغمغم من عند الباب وهى تنصرف بكلمات شكر غير مفهومة. تغادر هدى الشقة فينسل لون ما من الجو، ويحل شعور خفيف حزين فى الصالة وعلى كسوة المقاعد، شعور بالوحدة والأسف، ويتفادى موريس وجانيت أن تتقاطع نظراتهما، إلى أن ينطق هو ورأسه فوق الجريدة بعبارة ما، ليس لها معنى خاص، وتؤكد هى على كلماته التى شردت عنها وعيناها سارحتان : طبعا. طبعا، ثم تنهض واقفة : أعمل لك شاى؟. وينظر كل منهما إلى الآخر نظرة تنقل مزيجا

من مشاعر العتاب والذنب والغفران ومن العرفان لأنهما مازالا معا، ولأن أيا منهما لم يقل للآخر أبدا إن الحياة موحشة.

فى يوم آخر تطرق هدى الباب، وتجلس على حافة الفوتيه أمام التليفزيون تتفرج بفيلم كوميدى قديم، تأكل مما يقدم لها، وفى تلك الأثناء تقيس عليها مدام جانيت فستانا قديما ضاق على نجوى بنت أختها، وتفرح هدى، وتنهض بعد ذلك وتساعد مدام جانيت فى غسل الصحون، ثم تنام على الكنبة فى الصالة حتى الصباح. أبوها لم يجد مشكلة فى بياتها المتكرر، فشقة موريس وجانيت قريبة منه فى الطابق الأول بجوار السلم، والأستاذ موريس رجل طيب وكبير فى السن.

كل يوم أربعاء يتجه أبو هدى إلى مستشفى قصر العينى لغسيل كليته، ويعود منهكا أصفر الوجه يرقد على فرشته وهدى تناوله الماء والخبز، هكذا رجع هذه المرة، لكنه اليوم بعد أن رقد ساعتين يئن تحت السلم فارق الحياة. وانتبه سكان العمارة إلى أنهم لا يعرفون لمحمود البواب لا عنوانا ولا أقارب، ولم يكن يذكرهم بأصله سوى أبناء بلدته العابرين، الذين كانوا يظهرون بحثا عن عمل، فيشربون معه كوب شاى على الدكة

أمام مدخل العمارة ويستمعون لنصائحه ثم يرحلون.
الحاج شفيق قام بجمع تبرعات من سكان العمارة وتولى مع الأستاذ موريس إجراءات الدفن. فى المغرب ظلت هدى واقفة تشبثت قبضتاها الصغيرتان بالسور الحديدى لسلم العمارة، رأسها مدلى تنظر إلى الفرشة التى كان ينام عليها أبوها تحت السلّم وتبكى، ومدام جانيت تواسيها وتجذبها لتدخل الشقة ثم تيأس منها فتتركها وتعود إليها بعد ساعة إلى أن وجدتها نائمة تقريبا وقد أسندت خدها إلى حديد السور فسحبتها من يدها إلى الداخل. بقيت هدى فى الشقة، وموريس وجانيت يطيبان خاطرها كل يوم بالكلمات وقطع الحلوى حتى كفت عن البكاء من الخارج، وبدأت تختلس النظر إلى لقطات من أفلام التليفزيون وهى تمسح أنفها فى كمها. وحين صارت إقامة هدى عند الأستاذ موريس أمرًا مُسلَّمًا به، اشترت لها مدام جانيت من ممر الراعى الصالح فستانا وحذاء جديدين، وبدأت تخرج معها وتمسك بيدها بحرص وهما تعبران الشارع، وبعد فترة أخذت جانيت تفكر فى وضع سرير لها فى الحجرة الصغيرة، وحين مضى على وجودها شهر كامل قالت جانيت لموريس بحنان : إيه رأيك لو دخلنا هدى مدرسة قريبة؟.

مساء ذلك اليوم عرج موريس على صيدلية بركات المجاورة ليشترى علبة أنسولين، فغمزه د. مصطفى الصيدلى وهو يفتش عن الدواء بسؤال عابر: أخبار البنت هدى إيه يا أستاذ موريس؟ مش الحمد لله بخير؟. ولم يتوقف موريس عند السؤال طويلا، وأجاب: الحمد لله. ماشى الحال. وبعد يومين وجه الحاج عصفور صاحب محل العطارة السؤال ذاته إلى موريس لكن بنظرة ثقيلة باردة جعلت موريس يتساءل: إيه الحكاية؟. شخص ما نكش فى الشارع موضوع هدى قائلا: "موريس أخذ البنت الصغيرة فى بيته وح يخليها نصرانية، ح يربيها على طريقتهم!"، وتواثب الكلام من محل المكوجى إلى صاحب المخبز ومن دكان العصير إلى المقهى ومن بائعة اللبن إلى البيوت. فى نهاية الأسبوع سدد الجزار وهو يقطع فخذا بالساطور نظرة عداوة إلى موريس وطرح عليه السؤال بنبرة أقرب إلى المساءلة منها إلى التساؤل. هذه المرة أدرك موريس المقصود بالكلام، فبهت وتلجلج قائلا: "الحمد لله" وأسرع منصرفًا. فى اليوم التالى قرر أن يستشير لطفى صديقه وزميله فى البنك، فنصحه على الفور بطرد البنت قائلا: "بقاؤها عندك ممكن يعمل لك مشكلة فى الشارع والمنطقة كلها". جزع موريس من الكلمة" أطردها إزاى؟ دى طفلة؟ ومالهاش حد؟". فرد

عليه لطفى: "سرحها، شوف لها حد غيرك تقعد عنده". بسط موريس كفيه بحيرة متألما "لكن البنت بتحبنا أنا وجانيت ومستريحة معانا، كمان احنا..". قاطعه لطفى بحزم: "سيبك من حكاية الحب والراحة دى، المسألة أكبر من كده يا موريس".

فى طريق عودته أحس موريس أن حجرا ثقيلا يهوى بقلبه فرفع بصره إلى السماء الغائمة بنظرة عتاب ورجاء، وما إن دخل إلى الشارع حتى شعر بالأعين تلاحقه فى صمت، تترقب قراره، وتحثه عليه، وعندما اقترب من محل الجزار خرج له صبيه ودفعه فى كتفه كأنما بشكل غير مقصود وتابع سيره، وألقى الجزار عليه نظرة قاسية وهو يرفع الساطور ويمزق به اللحم والعظم.

جلس موريس فى الصالة يسأل نفسه: كيف يطرد طفلة صغيرة بلا أهل ولا سند، إلى الضياع؟ وماذا يقول لجانيت؟ وللبنت؟.

فى الأيام التالية أخذ دوى كلمات الغمز واللمز من الشارع يصك أذنيه بقوة أشد، وتذكر كلام لطفى، فحكى لجانيت كل شىء. استمعت إليه جانيت واقفة بوجه مخطوف باهت ولم تقل كلمة، جلست على حافة السرير وبكت طويلا بصوت مكتوم، ثم نهضت وهى تجفف عينيها بيدها واتجهت إلى المطبخ. نادى موريس هدى فأسرعت إليه "نعم يا عم موريس"

ووقفت أمامه منتظرة فى فستان أوسع وأطول مقاسا. مط شفته السفلى، وشبك أصابع يديه ولم يجد ما يقوله للبنت الصامتة. أخيرا استجمع موريس شجاعته وشرح لها بقدر ما يمكن لطفلة أن تفهم أن عليها أن تغادر الشقة. البنت الصغيرة فى الفستان الأوسع والأطول مقاسا عليها بكت، ومع أنها لم تظهر من قبل عنادًا أو تشبثًا بشىء إلا أنها هزت رأسها بنفى "لاء". وأعاد موريس ما قاله بكلمات أخرى فاستغربته: "ح امشى فين؟ أنا ما أعرفش حد، ومدام جانيت قالت لى ح أرتب لك الأوضة الجوانية؟"، وحسما للموضع هرولت إلى جانيت فى المطبخ "الحقى.. عم موريس بيقول لى أمشى!". وأشاحت جانيت بوجه متصلب كأنها لم تسمعها متشاغلة بدعك الأطباق بقوة.

فى اليوم الثانى، والثالث، والرابع، كرر موريس لهدى ما قاله من قبل، وأوضح لها أنه يحبها مثل ابنته بالضبط، بل هى ابنته، لكن هدى لم تعد تعير كلماته أى اهتمام. تسمع ما يقوله وتهز رأسها بنفى وتنصرف إلى الصالة تراجع ما علمته إياها مدام جانيت من حروف الكتابة أو تتفرج على التليفزيون. مرة بعد مرة، وأخيرا لم يجد موريس بدا من جذبها بقوة من ذراعها وجرجرتها خارج باب الشقة.

البنت ملتصقة بالباب المغلق، تخمشه من خارج الشقة كالقطة وتبكى: أنا زعلتك فى حاجة؟ والنبى

دخلنى. دخلنى والنبى ياعم موريس. وفرت دموع موريس وراء الباب المغلق يقول: ما أقدرش يا بنتى.. والعدرا ما أقدر. والنبى، والعدرا، والنبى، والباب مغلق خلف كل ناحية شخص وحيد فى أمسّ الحاجة للآخر.

٢٣ يوليو ٢٠٠٧

* * *

سعاد التى فى خاطرى

كلما أثيرت بصورة أو بأخرى قضية إخوانى المصريين من الأقباط يثب إلى عقلى وضميرى وجه سعاد ونحن صغار بعينيها الخضراوين الساطعتين وهما تنظران إلىَّ بلوم خفيف، ثم يتوارى وجهها لا أدرى أين ولا إلى متى. وعادة فإن الزمن يتكفل بتمييع الخطوط المحددة لصور الوجوه فى الذاكرة بحيث لا يعود يطفو منها سوى معناها، والانطباع العام الذى تركته. لكن وجه سعاد استثناء نادر تحدى كل السنوات وظل يثب إلى روحى مكتملا، واضح المعالم، مستديرا، وجميلا كالقمر. ربما لأن عهدى بها يرجع إلى طفولتى المبكرة، وربما لأننى كنت أحس أنها ستوغل فى الغياب بعيدا عنى، ومن ثم تشبثت بها ذاكرتى الطفلة إلى أقصى درجة.

كان ذلك فى شارع السروجى بالجيزة حيث كنا نقيم فى طفولتنا مع جدى وجدتى فى بيت من طابقين تعلو معه تكعيبة عنب أمام ترعة صغيرة تتدفق بهدوء. وكنا نخرج مع أولاد الشارع فى شهور الصيف نتسابق فى ماء الترعة ونلهو بطرطشاته. حينذاك تعرفت إلى نصحى وسمير وإلى أختهما الصغرى سعاد. لم تكن سعاد تشاركنا متعة القفز إلى المياه، ولكنها كانت تجلس بعيدا قليلا عند حافة الترعة حتى ننتهى من ذلك فتجرى معنا فى حقول خضراء وراء الترعة، صارت كلها عمائر الآن. تلك كانت المرة الأولى فى حياتى التى أرى فيها وجهًا بهذا الجمال، وعينين خضراوين بهذا العمق والصفاء. كنت فى نحو العاشرة، وكانت سعاد من سنى تقريبا. هل يجوز القول إن القلب الصغير يخفق فى هذه السن المبكرة؟ لا أدرى، لكن شيئا ما كان يشدنى إلى إدامة النظر لعينيها إذا صادفتها أمامى مباشرة، ولا شك أنها كانت تحس انجذابى إليها، ولم نكن نفهم أو ندرك، أو نجرؤ على فهم هذه المشاعر، ولا المضى بها أبعد قليلا من الخط الذى يفصل طفولتنا عن صبانا المتفتح أمامنا. لا أنا ولا سعاد، كنا قادرينْ على تحديد معنى الرعشة الغامضة الحلوة التى تجمعنا لأقل من لحظة

فى حقول مفتوحة تحت سماء الرب كأننا فاكهة تنضج على استحياء.

بيوت شارع السروجى الضيق كانت قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة، وسكان كل بيت معروفون. هذا بيت نوال وأحمد أولاد الضابط حمدى الصديق، وذاك بيت شريفة ثابت بنت المحامى، لا أدرى من فى الأولاد أشار ذات مرة إلى بيت سعاد وصبحى وسمير فى غيابهم قائلا: بيت المسيحيين! حيرتنى الكلمة، وجعلتنى أشعر بأن ثمة شيئا ما، مجهولا، يميز أولئك الناس عنا، أو يميزنا عنهم. وحين رجعت إلى البيت، سألت جدتى عن معنى الكلمة، فاكتفت بهزة رأس وهى تُرتّق سروالا قديما وقالت: نحن مسلمون وهم مسيحيون وخلاص! نحن؟ وهم. وأسدلت تلك العبارة الغامضة ستارا بينى وبين سعاد، من هم؟ ومن نحن؟ وما الذى يميزنا عن بعضنا البعض؟. المؤكد أن هناك فارقا ما بيننا، لكن جدتى لا تريد الخوض فيه، فارق حاسم، وغامض، وأشبه بالقدر. ولم تفارقنى حتى الآن صورة سعاد، ولا نظرة عينيها، ولا البسطة النظيفة دائما المؤدية إلى بيتها، بل إنى أرى عينيها الخضراوين تنظران إلىّ الآن وأنا أكتب هذه الكلمات، أراهما بوضوح بذلك اللوم الخفيف الذى ينبض

فيهما. فيما بعد، متأخرا، تعرفت إلى جذور القصة التى انتزعت منى سعاد، وظلت صورة ذلك البيت المعزول بإشارة على أنه بيت المسيحيين تخز ضميرى كلما أثيرت بصورة أو بأخرى قضايا إخوانى المصريين من الأقباط. فيما بعد، متأخرا، أدركت أن أخطر ما يهدد الثقافة المصرية هو التفرقة التى نتشربها من طفولتنا، لأن المسلمين منا ينشئون على ثقافة إسلامية فحسب - بالمعنى العام للثقافة - بينما ينشأ معظم الأقباط بدورهم على ثقافة مسيحية فحسب، لا أحد يعلمنا منذ الطفولة أن تاريخ مصر وحدة لا تتجزأ، وأنه لا يمكن لمصرى أن يلم بتاريخ بلده من دون أن يتعرف إلى هاتين الثقافتين، ومن دون أن يتشربهما وجدانه، ومن ثَم فإن التفرقة فى التربية فى الصغر، والطائفية فى الكبر، عقاب يحل ليس فقط بالأقباط ولكن بالمسلمين أيضا لأنها تحرمهم من اكتمال شعورهم بالوطن. وفى المحصلة النهائية يصبح الوطن - عند هؤلاء وأولئك - وطنًا بعين واحدة، ترى كنيسة فقط، أو ترى جامعا فقط، ولا ترى أن السماء التى تظلنا تَرِقُّ لكل الابتهالات.

يوليو ١٩٩٩

* * *

التعليم والإعلام

نشرت صحيفة "النبأ" فى ١٧ يونيه ٢٠٠١ بالبنط العريض قصة دجال مصرى كان راهبا فى دير المحرق بأسيوط واستغل مكانته لإقناع النساء بقدراته الخارقة على شفاء الأمراض وطرد العفاريت من الأبدان، وتمكن تحت ستار العلاج من إقامة علاقات عديدة بالنساء والتحرش ببعضهن. الحادثة ذاتها قديمة وقعت عام ١٩٩٦ وفى حينه شرعت النيابة العامة فى التحقيق فيها منذ أن ألقى القبض على الراهب، كما سارعت الكنيسة المصرية بـ "شلح" صفة الراهب عن الدجال أى نزعها عنه. ولا تخرج القضية عن إطار قضايا الدجل الدينى الكثيرة المشابهة، مثل موضوع الدجالة المدعوة "الشيخة نادية". لكن جريدة "النبأ" المصرية قررت فجأة أن تستخرج الحادثة

القديمة من الملفات دون الإشارة إلى أن الكنيسة قد عزلت الراهب ونشرتها بشكل يلقى بظلال الشك على رجال الدين القبط والأديرة؛ وبخاصة دير المحرق فى أسيوط الذى يتمتع بقداسة خاصة لأن العائلة المقدسة عاشت فيه ثمانمائة يوم. وأثار النشر بهذه الطريقة غضب الكثيرين من الأقباط، وتجمع آلاف منهم فى أسيوط وأمام مبنى الكاتدرائية فى العباسية حيث مركز إقامة البابا ليعربوا عن استيائهم من استغلال حادثة فردية لتشويه صورة عامة. وتحركت الحكومة بسرعة فاستدعت رئيس تحرير الصحيفة الصفراء للتحقيق معه، كما أدان مجلس الشعب والمجلس الأعلى للصحافة ونقابة الصحفيين وهيئات أخرى مسلك الصحيفة.

وقد أثارت "النبأ" بنشرها الموضوع أربع قضايا مهمة على الأقل، الأولى: تتعلق بمفهوم حرية الصحافة، والثانية: خاصة بتوقيت نشر الموضوع والجهة التى وقفت خلف ذلك وأمدت الصحيفة بصور من سجلات تحقيق رسمى وأهداف هذه الجهة من ذلك فى ظل ظروف اجتماعية وسياسية محتقنة، والثالثة تخص: انحسار الفكر العلمى بشكل عام مما يسمح مرة للشيخة نادية ومرة للراهب السابق بالدجل

والحديث عن طرد العفاريت من أبدان الناس وغير ذلك من خرافات العصور الوسطى التى مازالت تعشش فى عقول البشر. والقضية الأخطر هى بلا شك قضية الطائفية التى اختفت مع أحداث "الكشح" لتعود إلى الاندفاع بقوة من جديد. وإذا كانت الهيئات الرسمية قد اتخذت موقفا حازما لتطويق الفتنة، إلا أن منهج الحلول المؤقتة فى كل مرة لا ينتزع الفتنة من جذورها. وفى اعتقادى أن نشر الثقافة خاصة العلمية على أوسع نطاق هو السبيل الوحيد لحماية الوحدة الوطنية. وفى ذلك المضمار فإن المدارس والجامعات ومعها وسائل الإعلام تظل هى الأدوات الرئيسة لنشر هذه الثقافة وصياغة الرأى العام وليس مجرد طبع كتب قليلة هنا وهناك. وقد حان الوقت لتقديم "الأقباط" وهم العنصر الثانى (إذا جاز القول بوجود عنصرين وليس عنصرا واحدا متنوعا) فى الأمة، حان الوقت لتقديمهم بصورة واضحة فى الثقافة والإعلام، لأننا نقوم بأكبر خدمة للطائفية حينما ننحى التاريخ القبطى عن مناهج التعليم، ونقوم بالتعتيم على حاضر الأقباط ومشكلاتهم، ومن ثم يصبح القبطى المصرى موضوعا مجهولا محاطا بالغموض والإبهام لدى الطرف الآخر

فى الأمة المصرية، وكل موضوع مبهم قابل لأن يكون مادة للعداء، لأنه حينما تنعدم المعرفة بالآخر، أو تنعدم المعرفة بالنفس، فإن الخيال يندفع لتعويض غياب المعرفة بأوهام وصور مريضة عن الآخر. إن انقطاع المعرفة بالآخر، أو غيابها أصلا، يحيل الآخر إلى مادة مبهمة لا يمكن أن نألفها أو أن نقترب منها بفهم وحب. وإذا قرأنا كتب التاريخ التى تدرس فى المدارس سنجد أنها فى أفضل الأحوال تشير إلى القبط باعتبارهم "دافعى الجزية والخراج"، كأنهم هبطوا من كوكب آخر لمجرد دفع الجزية والتحليق مرة أخرى. أما مناهج التعليم فإنها تضغط فى ثلاث كلمات عصورا كاملة هى قطعة من لحم ودم الضمير المصرى. ولو أننا مثلا قمنا فى المدارس بتعليم الأطفال أن الكلمات: برسيم وإردب وكعك وقُلَّة وتمساح وبلح.. وغيرها، كلمات وصلت إلينا من اللغة القبطية لأدرك كل طفل مصرى أن بداخله قبطيا من التاريخ. أما فى حياتنا الثقافية فإن الشخصية القبطية فى الأعمال الفنية لا يزيد وجودها عن مجرد رمز فنى باهت مهذب صامت يجتر انتماءه للوطن كأنه قدر، ويقتصر دوره على عطاء ومشاركة مبذولين دون قيد أو شرط، وقلما تظهر لدينا أعمال فنية وروائية تتناول النسيج الثقافى

والاجتماعى لحياة إخوتنا الأقباط وعاداتهم وتقاليدهم وحاضرهم ليصبحوا كائنات ملموسة ومألوفة للطرف الآخر. إن التعليم والإعلام حينما يطوقان بالصمت تاريخ وحاضر الأقباط يجعلونهم موضوعا مبهما فى الوعى يصعب تصوره. وإذا كان ذلك النهج يشكل خطورة على الوحدة الوطنية بالمعنى المباشر فإنه يشكل خطورة أخرى على الثقافة المصرية التى قد ترى وطنها بعين واحدة، فلا تحيط بأبعاده ومساحاته الزمنية المترامية. إن حرمان المثقف المصرى الذى نشأ نشأة مسلمة من التعرف على جميع أبعاد حياة وتاريخ الآخر يعنى فعليا حرمان المثقف المصرى -على الجانبين- من معرفة نصفه الآخر، أى حرمانه من رؤية نفسه كاملة فى واقع الأمر. وإذا كانت الوحدة الوطنية مازالت قائمة بفضل قوة الضمير المصرى فإن علينا ألا نرهق هذا الضمير بأعباء إضافية إذا أردنا ألا يفرك الإخوة على الجانبين أصابعهم؛ متجنبين النظر فى أعين بعضهم البعض تحت وطأة الشعور بالخجل لانتهاك أشياء عزيزة لم يكن ينبغى المساس بها.

يونيه ٢٠٠١

* * *

الدين والأدب

تقدم يوسف رشاد بصفته باحثا وكاتبا بشكوى إلى فضيلة رئيس لجنة الفتوى بالجيزة. وجاء فيها أن هناك: "ظاهرة خطيرة للغاية لأنها تمثل اعتداء صارخا على قدسية القرآن الكريم، فبعض الشعراء يأخذون آيات كاملة من القرآن ويقحمونها فى شعرهم، كما فعل الدكتور صابر عبد الدايم فى قصيدته المنفى داخل الوطن.. نرجو إبداء الرأى الشرعى". وردا على ذلك أفاد الشيخ الطلخاوى رئيس لجنة الفتوى والشيخ السرساوى عضو اللجنة بأن: "يراجع الرجل فيما قال فإن رجع فلله الحمد، وإلا خرج من دائرة الإسلام ويستتاب وإلا قتل حدًا". أى أن الشيخين قد قدما فتوى بقتل الشاعر!

إن تكبيل الإبداع الفنى، بدعوى أن الإبداع يشتمل على مساس بالقرآن الكريم أو النصوص الدينية

عموما أمر يزداد انتشارا يوما بعد يوم حتى ليوشك أن يصبح ظاهرة. رغم أن علاقة الفن والأدب بالأديان قديمة. فقد وصف المؤرخ اليونانى هيرودوت من نحو ألفين وخمسمائة عام الطقوس المسرحية التى شاهدها فى مصر والتى "تصور آلام الإله أوزيريس" على حد قوله. وفى المسرح الحديث استلهم توفيق الحكيم قصة أهل الكهف من القرآن الكريم وأعاد صياغتها فى مسرحية، كما استعان فيما بعد بقصص أخرى من التوراة والقرآن الكريم فى "سليمان الحكيم". هناك أيضا "الحسين شهيدا" للشرقاوى وغيرها. وسنجد أن الكثير من قصائد البارودى وشوقى وحافظ إبراهيم يتضمن بطرق مختلفة عبارات ومقاطع دينية. إذن فإن العلاقة بين الأدب والدين علاقة قديمة من حيث المبدأ، ولم تجد اعتراضا.

وبينما اقتصر الأدباء والشعراء على استلهام فكرة أو قصة دينية، أو الاستشهاد بآية كريمة، دون ربط وثيق بين الإبداع والدين، فإن كبار دعاة ما يسمى بالأدب الإسلامى مثل سيد قطب وعبد الباسط عبد البدر ذهبوا إلى أبعد من ذلك بكثير حين نادوا عمليا بربط الأدب بالإسلام بشكل كامل، ونشر ما أطلقوا عليه "الأدب الإسلامى". إذن لم يرفض أولئك الدعاة

مبدأ العلاقة بين الأدب والدين بحد ذاته، بل مضوا بذلك المبدأ إلى منتهاه فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين، داعين لتأسيس أدب إسلامى، مستشهدين خلال ذلك بأن الرسول ﷺ كان يحث حسان بن ثابت للدفاع عن الإسلام بشعره، معتبرين أن قصائد الزهد والمتصوفة وغير ذلك أدب إسلامى. وبداهة فإن أولئك الدعاة لا يمكن أن يقفوا ضد استخدام هذه الآية أو تلك من القرآن الكريم، وعلى العكس فإن مثل تلك الأشكال من الاستعارة تؤكد شكل ومحتوى ذلك الأدب. وقد عرَّف أحدهم وهو نجيب الكيلانى الأدب الإسلامى بأنه: "تعبير فنى جميل مؤثر، ينبع من ذات مؤمنة" . والحكم على إيمان أو عدم إيمان أى إنسان مبدعا أو غير مبدع، أمر من شئون الخالق سبحانه وتعالى وحده، لأنه وحده الذى يعلم ما فى الصدور. أما الحكم على التعبير الفنى فيرجع إلى البشر. لكن فتوى الطلخاوى والسرساوى بمنطقة وعظ الجيزة جمعت بضربة واحدة بين شئون الدنيا والدين فحكمت بخروج النص فنيا وإقامة الحد دينيا. والسؤال هو: لمن تعود صلاحية الحكم على النص فنيا بحيث يمكن القول إن به خروجا أو تجريحا لمعنى مقدس؟ وهل يمكن استفتاء الأزهر فى شئون المسرح

والأغانى والروايات والفيديو كليب والمطبوعات واللوحات الزيتية وغير ذلك؟ وفى هذا السؤال نفسه تتردد أصداء سؤال آخر أعم خاص بطبيعة العلاقة التى ينبغى أن تقوم بين ما هو دينى وما هو دنيوى.

فى فترة سابقة تناول سيد قطب "النثر الفنى فى القرآن"، وكان من الممكن بنفس منطق الطلخاوى والسرساوى القول بأن سيد قطب حين تحدث عن فنية النثر فى القرآن قد هبط به إلى منطقة دنيوية وجعل لأدواته طابعا فنيا بشريا. وكان من الممكن بمنطق الطلخاوى إقامة الحد عليه! وبنفس المنطق مازال بوسعنا محاكمة عنترة بن شداد لأنه تجرأ فى قصيدة قال فيها مزهوا بنفسه أمام عبلة: "ولو صلت العرب يوم الوغى.. لأبطالها كنت للعرب كعبة"!. ألم يشبه نفسه بالكعبة؟ ثم كيف يمكن للعرب أن تصلى لأبطالها؟! ومن باب أولى كان من الممكن محاكمة أبى العلاء المعرى لقوله: " لا ذنب يارب السماء على امرئ رأى منك ما لا يشتهى فتزندقا "!

مثل هذه الأمثلة بلا نهاية فى تاريخ الشعر والأدب العربى القديم والحديث، ويمكن ليوسف رشاد أو محمد عباس أو غيرهما أن يتقدموا بشكوى ضد مئات الأدباء للأزهر أى للجهة غير المختصة بالفصل

فى القضايا الفنية، ما دمنا لم نضع بعد صلاحية الحكم على الأدب بين يدى الأدباء والنقاد فقط.

هذه القصة واحدة من قصص كثيرة تشكل تفاصيل حياتنا الآن، منها قصة المطربة التونسية ذكرى التى أجاز الشيخ الخضيرى فى الرياض إقامة الحد الشرعى عليها أى تنفيذ عقوبة القتل لمجرد قولها إنها عانت كما عانى الرسول ﷺ. المشكلة أن هذه التفاصيل الكئيبة تمثل إشارات لمنهج كامل يسعى لفرض نظرة دينية على الثقافة والفن. وما دمنا لا نلمس التقدم والتطور فى التفاصيل الصغيرة فى حياتنا، فمن العبث البحث عن أى تقدم فى قضايانا الأخرى الكبرى.

فبراير ٢٠٠٢

* * *

الحوار المسيحى الإسلامى

يقول هانى لبيب فى كتابه "الحوار المسيحى الإسلامى: رؤية جديدة" الصادر مؤخرا: "إن البعض فى الغرب يردد أن الإسلام هو الخطر العالمى القادم، كما يصفونه بالخطر الأخضر بعد زوال الخطر الشيوعى الأحمر". ويؤكد: "غير أن هذا لا يعبر عن راى الكنيسة الوطنية أى الكنيسة القبطية فى مصر التى ترفض الخلط بين أقباط مصر ومسيحيى الغرب".

ويدعو الكاتب إلى حوار دينى بين طرفى الأمة المصرية فى الإطار المصرى العربى أساسا، بهدف توسيع المساحات الفكرية المشتركة وتعميق السماحة الدينية وتبديد الخرافات المتراكمة لدى كل طرف عن الآخر. ويشير إلى أن الحوار المقصود هو "حوار الحياة

المشتركة والمصير الواحد بعيدا عن شبهة الأهداف السياسية للدول العظمى".

وفى هذا السياق يرفض الكاتب المصطلحات التى صكت فى الغرب مثل مصطلح السلام إذا كان المقصود به كسر مصطلح الجهاد كرمز للمقاومة، كما يرفض التطبيع الذى يتنكر فى مصطلحات مثل ثقافة السلام وقبول الآخر؛ لأن هناك غرضا آخر وراء تلك المصطلحات ألا وهو تطويع العقل المصرى ليمضى إلى الخضوع والاستسلام. وينوه هانى لبيب عن حق بأنه لا يوجد شىء اسمه صراع الحضارات أو صراع الأديان؛ لأن الصراع الدائم المتجدد هو الصراع بين القوى والمصالح، وإن تغيرت أسماؤه وطرقه.

ويستشهد هانى لبيب بمقتل المصرى القبطى عادل كراس فى ١٥ سبتمبر منذ عامين كرد فعل على أحداث ١١ سبتمبر قائلا: "بات مؤكدا أن العربى فى الغرب مفهوم يشمل المسيحى والمسلم معا.. وكون عادل كراس عربيا كان كفيلا بإطلاق الرصاص عليه". ووفقا لهذه الرؤية فإن الأستاذ هانى لبيب يضع قضية الحوار المسيحى الإسلامى فى إطارها الاجتماعى والوطنى أساسا، لكنه يعود فى أحيان غير قليلة ليرى نفس القضية من المنظور المبتسر لجماعات حقوق

الإنسان التى تعمل وفقا للأهداف الأمريكية والإسرائيلية، قائلا: إن من الأهمية بمكان دعم قيمة الحوار من خلال منظومة حقوق الإنسان، كما يقع فى أحيان غير قليلة فى مصطلحات من النوع الذى صك فى الغرب مثل:"رفض العنف بكل أنواعه وأساليبه"، فتلك المصطلحات العامة تكشف فى اللحظة المحددة التى نعيشها، عن أغراض خاصة ومحددة.

وفى كتابه يشير هانى لبيب إلى الجانب الفلسفى من القضية، أى عجز الإنسان عن إدراك تفرد شخصيته بغير اختبار التعايش مع الآخرين. وبعبارة أخرى، فإن من المستحيل على المصرى أن يفهم ذاته من دون تفاعل مع ثقافات وأطراف مجتمعه كلها. وهنا لابد من الإشارة إلى أن الإعلام والتليفزيون لا يضع الأقباط فى دائرة الضوء الكافية، فلا ينقل احتفالاتهم أو شعائرهم بانتظام، ولا يجعل حياتهم وثقافتهم أمرا مألوفا، أى أن تلك الأجهزة تعوق عمليا التعايش المشترك. ولهذا السبب تحديدا فإن القرار الذى صدر مؤخرا باعتبار يوم ٧ يناير إجازة رسمية يستحق التحية؛ لأنه ينبه بوضوح ليس فقط لحق الأقباط فى ذلك، بل لحق المسلمين فى مشاركة إخوانهم وأخواتهم الأقباط أعيادهم وأفراحهم.

وبالرغم من ذلك تظل الروح الوطنية الصادقة التى تستحق التحية هى التى ترفرف على مجمل صفحات الكتاب، وعلى دعوته الواعية لفتح حوار صريح يتناول بالتفصيل مشكلات العلاقة مع الإخوة الأقباط الأعزاء على المستوى الاجتماعى والثقافى والوطنى.

يناير ٢٠٠٣

* * *

الأقباط والأدب
قصة الوشم

استوقفنى موضوع الأقباط والأدب مبكرا، منذ أن قرأت لى عام ١٩٦٥ صديقة عزيزة قصة قصيرة من تأليفها بعنوان "الوشم". بطل القصة عامل مسيحى بسيط فى مصنع يجتهد طوال الوقت أثناء عمله فى مداراة "وَشْم" صغير على رسغه برسم الصليب. كان ذلك أيام عبد الناصر التى لم تشهد تقريبا الفتن الطائفية أو تمييز المسلمين على المسيحيين بأشكاله الفظة. وكان عبد الناصر أول من لجأ إلى تعيين الأقباط فى مجلس الشعب، وقرر قصر الترشيح على الأقباط فى عشر دوائر ذات كثافة سكانية قبطية، إلى أن أعطيت سلطة تعيين عشرة أعضاء أقباط لرئيس الجمهورية مباشرة. وكانت سياسة عبد الناصر مقاربة

لسياسة محمد على مؤسس مصر الحديثة الذى رأى فى إطار مشروع للنهضة أن "القبطى والمسلم يستطيعان أن يقدما للبلاد أفضل الخدمات". وكان محمد على أول من ألغى قيد الزى المخزى الذى كان مفروضا على الأقباط، كما كان سعيد باشا أول من ألغى الجزية التى جثمت على صدورهم منذ منتصف القرن السابع. وارتفع مع ثورة ١٩١٩ الشعار الوطنى المجيد "الدين لله والوطن للجميع"، وفى خضم أحلام الثورة الجامعة انتخب ويصا واصف رئيسا لمجلس النواب دون أن يجد أحد فى ذلك أمرا مستنكرا. لكن دعم النظام المصرى للجماعات الدينية فى عصر الانفتاح بهدف مقاومة الناصريين واليساريين أدى إلى استبدال شعار "الإسلام هو الحل" بشعار تاريخى عزيز هو "وحدة الهلال مع الصليب"، وإلى إدخال تعديل شهير على المادة الثانية من دستور ١٩٧١ فى نفس الاتجاه. وراحت الجماعات الدينية تنشر ثقافة التعصب والتكفير والكراهية فى كل ركن، وتقدم "إسلامها" الخاص. وتوالت من نوفمبر ١٩٧٢ بعد حادثة حرق الكنيسة فى الخانكة أعمال العنف فى مواقع عديدة آخرها كانت حادثة كنيسة العبور فى يناير عام ٢٠٠٢، وكان من البدهىّ أن تظهر فى الأدب

الآثار النفسية والاجتماعية لمثل هذا التاريخ الطويل، والخاص، وأن يخلق هذا التاريخ الطويل أيضا أبطاله ومشكلاته الروائية والفنية المختلفة ويقدم لنا ما لا نعرفه من أبعاد الشخصية القبطية. لكن ذلك لم يحدث. والغريب أن ذلك التكوين النفسى والثقافى الذى امتد فى تاريخ طويل لمواطن يعشق وطنه ويحس بأنه يكافح من أجله، ويكافح فيه فى مواجهة التمييز، هذا التكوين ظل حبيس العتمة والهواجس الذاتية. الأغرب أن حبس ذلك التكوين تم فى الأدب وهو المجال الذى يحظى فيه الكُتَّاب بحرية تعبير خاصة. والأغرب أن الذين عرضوا للنماذج والشخصيات القبطية هم الكتاب الآخرون، مثل نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس.. وغيرهما. وحتى عندما قام إدوار الخراط أحيانا بطرق ذلك الجانب فإنه لم يفتح بابه على مصراعيه. وظل المواطن القبطى يدارى الوشم الذى لم يخرج رسمه إلى النور صراحة أبدا. والتعبير عن الهموم القبطية فى الأدب لا يعنى - ولا يمكن أن يعنى - أن ثمة أدبًا قبطيًا. فالأدب يعرف بلغته، وانتمائه القومى. لكن للمواطن القبطى همومه الخاصة فى إطار الهموم العامة، وهى هموم لا يمكن أن يعبر عنها سواه. وعلى سبيل المثال، فإننى - رغم

أن لى إخوة أقباطًا أعزاء منذ زمن- ما زلت أجهل إلى الآن الأدعية التى تثب إلى ألسنة الأقباط عند وقوع كارثة، أو فرحة مفاجئة، وما زلت أجهل الكثير من تقاليدهم، وأشعر بالخجل حين أجلس معهم فى بعض أعيادهم، وأنا لا أدرى شيئًا عنها، أو عن مناسبتها.

لن يكون هناك أدب قبطى، ولا ينبغى أن يكون، كما أنه ليس هناك أدب نوبى، هناك أدب مصرى. لكن لابد من أن تتنفس وتزدهر داخل أدبنا المصرى كل ألوان التعبير عن كل القضايا بحالاتها الخاصة. وعندما أسمع عن حوادث اختطاف البنات المسيحيات فى الصعيد وإجبارهن على الزواج من شبان مسلمين، أسأل نفسى: ألا يصلح هذا ليكون موضوعا لقصة؟ لماذا لا يكتب إخوتنا من الأدباء الأقباط عن ذلك؟ ومن أين يتولد لديهم هذا الشعور بالرهبة أو ربما الرغبة فى تفادى إثارة المسألة فيمنعهم من الكتابة بصراحة عن قضاياهم؟. إن للتعبير الأدبى عن القضايا القبطية الخاصة أهمية بالغة؛ لأنه يجعل من الموضوع المجهول موضوعًا معروفًا مألوفًا، ومن ثم يمكن اعتياده والقبول به. أما أن تظل قضايا الأقباط وعوالمهم المعنوية والفكرية الفردية والجماعية أسيرة للعتمة والصمت، فإن ذلك يجعلها شيئا مجهولا، قابلا

لإضافات الخيال بالسلب والإيجاب؛ لأن الطبيعة تكره الفراغ، ومن ثم تملأه على الأغلب بالأوهام والتصورات المريضة عن الآخر. إن الحديث عن التواجد المشترك أمر مستحيل ما لم نصنع ذلك التواجد المشترك بتعبير كل طرف عن ذاته ووجوده. وما عدا ذلك يصبح الأمر تواجدًا لطرف واحد ذى سطوة يستضيف طرفًا آخر مهذبًا لا دور له سوى الإنصات لحكايات الأول! وتقع مسئولية التعبير الأدبى عن عالم الأقباط على إخوتنا وأخواتنا الأدباء وحدهم. هم وحدهم المسئولون عن غياب أو حضور ذلك التعبير. أقول ذلك كله؛ لأنه إذا لم يشق الفكر المستنير طريقه إلى العقل، فلابد أن نجد أنفسنا فى نهاية المطاف فى مواجهة شعار "الإسلام هو الحل" أو شعار "المسيحية هى الحل"، وفى مواجهة شعار "الأدب الإسلامى" أو شعار "الأدب القبطى". إننا أحوج ما نكون إلى أدب مستنير يتناول كل جوانب حياتنا ولا يجتهد طيلة الوقت فى مداراة "الوشم" الصغير لأن مداراة الروح خطر على مستقبل مصر!

يونيه ٢٠٠٣

* * *

مكرم فهيم
وأحزان بلدنا

صدرت مؤخرا الرواية الرابعة للكاتب مكرم فهيم "أحزان بلدنا". أولى رواياته كانت "هدير" عام ١٩٦٨. هناك إذن نحو خمس وثلاثين سنة من الاستمرار فى الكتابة بين الروايتين. رواية مكرم فهيم الجديدة تطرح بصدق وموضوعية أحزان بلدنا فى مائة وأربعين صفحة يحلق فيها الكاتب فى سماء الوطن بأكمله، انطلاقا من قصة مواطن قبطى تمزق وهو يفض اشتباكًا مسلحًا فى الصعيد بين مسلمين ومسيحيين. لقد انتقل الوطن تاريخيًا مما يسميه الكاتب "سنوات التحدى الجَسُور" إلى اقتتال أبناء الوطن الواحد، وتغيرت القيم بحيث أصبحت اللمعة الأخلاقية الوحيدة هى لمعة أوراق البنكنوت، والسيارات من طراز

الشبح، والصعود على حساب أى شىء، وبذخ القرى السياحية، وكل ما تلخصه وهيبة راغب مسعد عندما تتحدث عن زوج شقيقتها قائلة: "عنده فلوس، إذا رأينا فلوسا فوق البراز فإننا نلتقطها وننظفها"! عالم جديد له لغة جديدة بينما تغوص فى أحراش الضفة الأخرى: البطالة والجوع وسكنى المقابر مصحوبة بريح التخلف والتعصب التى تهب من كهوف الظلمة. على هذه الخلفية يقدم مكرم فهيم روايته، أقرب ما تكون إلى البحث الأدبى والفنى فى وضع الأقباط منذ ١٩١٩ حتى الآن، من خلال تطور أحوال أسرة راغب مسعد وأولاده وعبر علاقات الأسرة المتشابكة فى الصعيد والقاهرة والمهجر. وفى سبيل تقصى الحقيقة لا يجد الكاتب بأسًا من الاستعانة بمقاطع من مقالات لمحمد حسنين هيكل وأحمد حجازى.. وغيرهما لإلقاء الضوء على الموضوع. السؤال الرئيس هو وضع ومشكلات أقباط مصر صراحة. نقطة الانطلاق النسيج المصرى القومى الواحد. نقطة الصراع الخلايا السرطانية التى تنهش ذلك النسيج، وتشل التفاعل الإنسانى والثقافى وتعطله، فيعتل البدن الواحد. بؤرة الأحداث والذكريات مصرع أو اغتيال أو إذا شئت استشهاد المقدم نبيل يعقوب فى المنيا بالصعيد وهو يفض

اشتباكًا مسلحًا بين مسلمين ومسيحيين. يبكى والده متسائلا.. "هل الأقباط أقلية مستضعفة؟ هل هم جزء من نسيج الوطن؟ أم أن الحديث عن نسيج واحد لم يعد سوى محاولة لصرف الأنظار عن التعدد؟" . من أين خرج التعصب والإرهاب وأصبح لرصاصه ذلك الدوى المسموع فى مصر كلها؟ فى فبراير ١٩٩٤ عندما أطلق الإرهابيون النار على المصلين فى كنيسة أبو قرقاص وفى غيرها من قرى الصعيد؟ يتساءل الكاتب على لسان يعقوب نصر الله أحد ضباط الثورة: "هل أخطأ أقباط ثورة ١٩ عندما رفضوا اقتراح سعد زغلول بأن ينص دستور ٢٣ على نسبة ثابتة للأقباط بمجلسى الشيوخ والنواب.. قالوا ندخلها كمصريين لا كأقباط.. هل أخطئوا؟" .. ومن المسئول عن المناخ العام الذى يولد الإرهاب، ويجعل البعض يفتى صراحة بأن من يصافح قبطيا فقد كفر؟. من المسئول عن اعتماد الجامعات كرسيا للغة الأرمينية ورفضها اعتماد كرسى للغة القبطية وهى من تراث المصريين جميعا؟ من المسئول عن استمرار ما يسمى بالخط الهمايونى الذى يمنع استصلاح الكنائس لدورة مياه إلا بإذن خاص؟.

والأقباط عند الروائى مكرم فهيم ليسوا صورة مثالية فى مواجهة صورة أخرى سلبية، فمن بينهم

المتعصب الذى قتل أخته لأنها تزوجت مسلما، ومن بينهم من يستشير جمعية الكتاب المقدس قبل أن يتنزه مع فتاته إن كانت النزهة من حقه أم لا، ومن بينهم محتالون، وأصحاب علاقات خاصة مع أمريكا. إنهم من نفس العجين الذى خرج منه الآخرون، لأن القضية فى النهاية ليست قضية دينية، لكنها بالدرجة الأولى مسألة اجتماعية واقتصادية وسياسية، حتى لو كانت مشحونة بسطوة الأغلبية. وينتصر مكرم فهيم فى روايته للتآخى، والعقل، والاستنارة، حين تكلف الجماعة الإرهابية شابا مسلما من بينها باغتيال أحد الأقباط، فيفيق ضمير الشاب ويرفض التكليف، فيصبح هو الآخر ضحية للرصاص، كما كان نبيل يعقوب من قبل ضحية للرصاص. يتأكد انحياز الكاتب لمصر كلها حين يقول إن الوجدان الشعبى يبتدع كل ما يعزز الأُخُوّة والمحبة. وأن مصر حارة واحدة للجميع. لعل الملمح الأهم فى رواية مكرم فهيم هو هذا الطرح الجرىء الصريح لمشكلات النسيج الواحد. إذ لم يعد يكفى للحفاظ على ذلك النسيج أن نقول ونكرر إنه نسيج واحد. وقد أصبح من الضرورى فى الأدب والفن والثقافة تحطيم حاجز الصمت المطبق الذى يحيط بتقاليد وعادات وعالم الشخصية القبطية، التى

هى نصف قلوبنا ونصف عقولنا ونصف تاريخنا العريق. تحية لمكرم فهيم -الذى لا أعرفه شخصيًا- روائيًا وكاتبًا وطنيًا مبدعًا.

يونيه ٢٠٠٣

* * *

رحلة إلى مستقبلنا

تأهبت للسفر إلى الصعيد، وكعادتى كل مرة، وضعت فى حقيبة سفرى كل الأشياء التى لا أكف عن توهم أنها ضرورية جدا للسفر ثم يتبين لى، كما حدث من قبل مئات المرات، أننى لا أنتفع بها: كتب لا أقرؤها فى الرحلة، وأوراق لا أكتب عليها، وأقلام لا أستعملها، ونظارات احتياطية. الرحلة إلى المنيا لزيارة الأماكن التاريخية فيها: تل العمارنة، ومقابر بنى حسن، وجبل الطير الذى يقع فيه دير السيدة العذراء الذى احتمت به ومعها السيد المسيح طفلا خلال عبورها بمصر، ودير البرشا، والأشمونين، وتونة الجبل. لم أكن أتصور أن المنيا وحدها تضم كل تلك الآثار والمعالم. الرحلة نظمتها جمعية "محبى التراث القبطى" وهى جمعية بلا مقر، ولا تليفون ثابت، لكنها تعمل بنشاط، وتنجح

فى تعريف أعضائها وغيرهم على معالم الحضارة المصرية القديمة بفضل مدام رينيه يعقوب ومجلس إدارة متطوع لخدمة الثقافة لوجه الله، من دون تمويل لا أجنبى ولا محلى. كنا أكثر من أربعين شخصًا التقينا أمام محل عمر أفندى فى الجيزة فى السابعة صباحا، ومن هناك انطلق بنا الباص السياحى يقطع الطريق بهدوء إلى المنيا. بجوار السائق وقفت مدام رينيه وبيدها ميكروفون ورحبت بنا معربة عن سعادتها بوجود هذه المجموعة التى تضم مثقفين مسلمين وأقباطًا فى رحلة واحدة بحثًا عن تاريخ مصر القديمة. فى الطريق الذى طال لأربع ساعات، اكتشفنا شيئًا فشيئًا أننا نقطع الطريق ليس بحثًا عن ماضى مصر، بل عن مستقبلها! فقد تقاسم الجميع الطعام والشراب والأحاديث، إسحق حنا، وجورج ميخائيل مع هدى طعيمة، وميلاد يعقوب مع د. ميرفت عبد الناصر، ووجيه رمزى مع د. سوسن عبد الله. وحلق فى جو الباص الكبير شىء جميل، كأنه التفاهم والأمل حين تصبح الفرصة متاحة للتفاهم بين الناس، فيكتشفون - كأنما فجأة - أن ما يجمعهم كثير جدا. بعد أربع ساعات توقفنا فى جبل الطير، عند دير السيدة العذراء الذى أصبح كنيسة

يعود تاريخها إلى أكثر من ألف وخمسمائة عام، وهى مبنى صغير لا تزيد مساحته على مساحة شقة، لكن يكفى أن تتصور أن السيدة العذراء مرت هنا لكى تحس أنك أمام مبنى ضخم يشع كل حجر فيه بالنور. لكن المكان المحيط بالكنيسة مهمل إلى أقصى درجة ويخلو من أى مرافق أو خدمات للتخفيف عن الزوار. توقفنا لنستريح قليلا، وكان يكفى أن ترى خالد عبد الحق المرشد السياحى واقفا يصلى، بينما تتناول نيرمين وفهيم طعام صيام الأربعين يوما التى تسبق احتفالات الأقباط بعيد الميلاد. وقد هزتنى من الأعماق هذه الصورة التى اجتمع فيها الشعور الدينى بطرفيه تحت سماء مفتوحة تتسع رحابها لكل الأدعية. هزتنى الصورة لأننى لم أر منذ زمن طويل مشهداً كهذا ترفرف فى أجوائه روح المودة والاحترام المتبادل بين مسلم وقبطى.

انطلقنا بعد ذلك نواصل الرحلة، ونحن نتبادل النكات والضحكات، إلى أن بلغنا تل العمارنة، وهو الموقع التاريخى الذى يضم مقابر الأشراف التابعة لمدينة أخناتون. المدينة ذاتها "أفق تون" التى بُنيت فى وقتها بسرعة، اختفت، لكن المقابر المحفورة بعبقرية وجهد خارق ظلت داخل الجبل. والمعروف أن منطق البناء، أى بناء، هو الارتفاع بالمبنى من أسفل إلى

أعلى، لكن موهبة قدماء المصريين تفتقت عن بناء معاكس، أى من أعلى إلى أسفل! فكانوا يحفرون فى أعلى الجبل، ثم يهبطون بالحفر إلى أن ينتهوا من العمل. هناك كان علينا نحن وقلة من الأجانب أن نصعد مسافة طويلة لأعلى، بدون استراحة، ولا مقهى، ولا مظلة، ولا حتى درابزين يحيط بالسلالم المنهكة. أين تذهب إذن نقود هيئة الآثار إن لم تكن لتطوير تلك المناطق وتوفير الخدمات بها؟.

فى نحو الخامسة عصرا اتجهنا إلى مضيفة كنيسة مَلَّوى وهى بيت من خمسة طوابق، ووضعنا حقائبنا فى حجرات صغيرة نظيفة، وأكلنا لقمة، ثم التقينا بالأنبا ديمترويوس، وهو رجل مثقف، شديد التواضع، يتقن عدة لغات، أجاب عن أسئلة كثيرة وساذجة بصبر ومودة. وحدثنا عن اللغة القبطية، وأن حروفها دخلت إلى عدد كبير من لغات العالم، وأدهشتنى المقارنة بين الحروف القبطية وحروف اللغة الروسية. فقد اتضح لى أنها متطابقة كتابة ونطقا بالتمام والكمال. وتعجبت لأننى كنت أدرس اللغة الروسية فى موسكو سنوات طوالاً ولا أدرى أن حروفها من عندى!

فى صباح اليوم التالى خرجنا لزيارة "الأشمونين"، و"تونة الجبل"، وفجأة كفت معالم الحضارة القديمة عن إثارة دهشتى حين أحاط بنا جمع من الأطفال الفقراء العرايا الذين اعتقدوا فى البداية أننا أجانب،

فالتفوا حولنا يصيحون "مونى.. يا مستر"، فلما خاطبتهم بالعربية صاحوا بى "طب هات ربع جنيه".

عند عودتى إلى القاهرة، ظل فى نفسى شعورى بالهواء النقى الخفيف داخل الباص، وبين البشر، هواء بلا تعصب، كنت أعب منه بنهم طيلة الوقت، وقد أفاق يقينى إلى أننا قادرون معا على اجتياز المصاعب التى تعترض طريقنا.

ديسمبر ٢٠٠٥

* * *

المسألة القبطية
وما جرى فى الإسكندرية

مؤسف جدا كل ما حدث فى الإسكندرية مؤخرًا من تهجم على الكنائس وإتلاف واجهاتها ومحتوياتها، وتخريب وسرقة محلات المسيحيين وحرق سياراتهم والتعدى على المستشفيات القبطية، وسقوط قتيل، وإصابة عدد كبير بجراح. والأكثر مدعاة للأسف ما قررته نيابة شرق الإسكندرية من ضبط ٢٥ زجاجة مولوتوف وبعض الأسلحة البيضاء من سكاكين وجنازير، فطبيعة هذه الأدوات التى استُخدمت تدل على تعبئة وشحن نفسى وفكرى مسبق وطويل الأمد. والآن علينا أن نتخيل سبعة آلاف شخص يتواثبون بهذا العنف وهذه الأسلحة إلى أماكن العبادة لكى ندرك حجم ترويع البشر الذى تم، ودرجة الأسف

والألم الذى أثارته تلك الأحداث. السؤال هو: ماذا لو تم مثل ذلك مع جامع أو مسجد كبير؟!. أما الكلام عن مسرحية عرضت منذ عامين ليوم واحد فقط داخل كنيسة مغلقة، فإنه لا يصلح مطلقا لتبرير العدوان. كان من الممكن لمن يعتبرون أن بالمسرحية مساسًا بهم أن يتقدموا بشكوى إلى شيخ الأزهر، أو البابا شنودة، للتحقيق فى الأمر ومعاقبة المسئولين عنه إذا كان فى المسرحية ما يمس بالفعل مشاعر المسلمين، لكن أن يصبح العدوان وسيلة لحل خلافاتنا خاصة فى مجال الدين، فأمر لا يمكن تبريره أو قبوله لا كحادثة عابرة ولا من باب أولى كقاعدة لحل المشكلات. أقول إن ما جرى شىء مؤسف جدا، وكلمة "مؤسف" تعبير مهذب ومقتضب عن مشاعر كثيرة أحسها كل من شاهدوا لقطات الهجوم الكبير على الكنيسة. لكن لا الأسف يحل المشكلة، ولا استنكار الغوغائية، ولا شعور الأسى الذى يعبر عنه كبار المسئولين عن المؤسسات الدينية، ولا الحديث الذى يلوذ به المثقفون حول "الوحدة الوطنية"، و"الهلال والصليب". وبعبارة أدق، فإن المشاعر الطيبة والخطب التى تعزف على نغمة ذكريات النسيج المشترك لن تنفع الآن بشىء. فما الذى يتبقى من النسيج بعد أن تنهال

عليه الخناجر والجنازير؟. لقد أصبح تدخل الدولة بشكل حازم أمرًا ضروريًا للغاية، ومن ناحية أخرى فلابد للمثقفين أن يتحركوا فى اتجاه آخر. لقد قلت إن الوسائل المستخدمة تدل على حجم العنف ومشروعه، الأخطر أن من بين الذين ألقت النيابة القبض عليهم عددا من المتعلمين، أى أن مشروع العنف بوسائله ومادته البشرية يتخطى حدود الفئات الغارقة فى ظلمة الجهل والتى شكلت فيما مضى الجيش الرئيس للجماعات الإسلامية، كما أن ما جرى ليس حالة مفاجئة، أو تعبيرا عن مزاج فردى، لكنه حدث يحمل سمات وضع متكرر، يقع كل مرة بصورة وتفاصيل مختلفة، لكن بقاسم عام مشترك. أصبح من الضرورى أن تتدخل الدولة، أولا لتغيير برامج التعليم؛ لأن أولادنا يرضعون التعصب منذ الصغر، ويرضعون الشعور بالانفصال عن الآخرين، بسبب غياب برامج التعليم المشتركة التى تغرس فى التلاميذ من الجانبين أن تاريخ مصر تاريخ مشترك، حافل بالمساجد والكنائس، وبصور الكفاح والبناء المشترك مع إخوتنا المصريين الأقباط. أيضا لابد من التفكير فى مادة، تعلم التلاميذ من الجانبين أن الله هو الرحمن الرحيم، وأن الله محبة وأن تجد هذه المادة ما هو

مشترك بين الرسالتين السماويتين من تعاليم دينية وأخلاقية. ومن دون مراجعة لبرامج التعليم، سنظل نسمع أن مدرسًا قال لتلاميذه فى الفصل: "كل مسلم سيدخل الجنة ممتطيًا مسيحيًا"! وسنظل نقرأ أن مدرسا قال لتلاميذه من اعتقد أن الأرض تدور حول نفسها فهو كافر! لابد من مراجعة مناهج التعليم وبرامجه وكتبه، وكيفية تأهيل المدرسين الذين ينفثون السموم فى عقول بريئة. لابد أيضا من وقفة مع شيوخ الجوامع الذين لا يكفون فى خطبهم عن إثارة الفُرْقة، وزرع كراهية الآخرين، والتصريح بأن "من ليس منا فهو كافر". لابد من مراجعة كاملة لما يتلقاه أئمة الجوامع من علم، لأننا فى واقع الأمر أمام حالة اجتماعية وتربوية وثقافية عامة، لن تنفع معها سوى رؤية بعيدة المدى تتبناها الدولة، إذا أرادت الدولة أن تقلم أشواك الشر. ويظل على المثقفين واجب الدعوة لمؤتمر، وأكثر من مؤتمر، ليضعوا بعد نقاش مطول توصياتهم صراحة بهذا الشأن، مع طرح المشكلة كما هى فى واقع الأمر، بدون تمويه على أوضاع الأقباط، أو تجميل للواقع القبيح الذى يولد التعصب فيه من رحم الجهل والفقر والتخلف. وإذا استطاع المثقفون أن يعقدوا مؤتمرا بهذا الشأن فإنهم سيشكلون قوة ضغط

قادرة على أن تقود الرأى العام والدولة إلى تبنّى استراتيجية حقيقية لنزع جذور الإرهاب. فلم يعد رش الماء على حد السكين يصلح شيئا، ولم تعد الطبطبة على الآخرين تنفع، ولا يُجْدى قولنا كل مرة: "معلش ياجماعة.. احنا مع بعض آهو". نحن أيضا فى أشد الحاجة إلى إزالة كل القوانين التى تكرس التفرقة؛ لأن ربنا لم يمنحنا سوى وطن واحد، هو على كل عيوبه وبكل محاسنه كل ما نملك، وعلينا أن نصونه ونحميه، ليغدو - ولو فى أحلامنا - أجمل الأوطان وأكثرها عدلا.

اكتوبر ٢٠٠٥

* * *

من أجل القرآن

تأملت بإعجاب خبر المظاهرة التى قام بها مئات المسيحيين فى إسلام آباد من أجل كرامة القرآن الكريم بعد أن دنسه جنود أمريكيون فى معتقل جوانتانامو. وكنت أتوقع أن يكتب الكثير عن تلك المظاهرة فى صحفنا وأن يفرد لها التليفزيون شيئا من أوقاته، وأن تغدو تلك الحادثة فرصة نستغلها لنؤكد للرأى العام عندنا معنى خروج المسيحيين من أجل القرآن الكريم بكل ما يتضمنه ذلك من قيم السماحة والأخوّة التى نحن أحوج ما نكون إلى ترسيخها. كنت أتمنى أيضا لو أفردت وسائل الإعلام مساحة لإلقاء الضوء على الحملة التى قام بها مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية لتعريف الشعب الأمريكى بالقرآن الكريم وتوزيعه مجانا على المواطنين الأمريكيين. لأن

إبراز تلك الظواهر ووضعها فى الضوء كفيل بأن يساعد على مواجهة ثقافة القوة والظلام التى تسبح فى أجوائنا مثل الطيور العمياء. هذه الثقافة التى تنقر أذنيك وعينيك كل لحظة فى كل موضع على امتداد اليوم، بدءا من ذلك الذى يقتحم الميكروباص، فاردا كتفيه زاعقا بصوت يجلجل كالرعد: "السلام عليكم" مبحلقا فى الجالسين يرتجفون من هول صيحته التى تحمل من التهديد أكثر مما تحمل من معنى السلام، مرورا بتشغيل شرائط كاسيت تبث آيات الذكر الحكيم ليل نهار دون أن ينصت إليها أحد فى ضجيج المواصلات والشوارع، والذين ينقّضون بالملصقات على جدران القطارات والمترو والسيارات بعبارات مثل "الحجاب قبل الحساب"، أو"لا تنس ذكر الله" وتحت العبارة أو فوقها أرقام هواتف شركة تصليح دش أو محمول أو هاتف شركة تقسيط ثلاجات! ولا يعكس ذلك فى معظمه سوى حالة من التحفز والتحرش بخلق الله، وكأن الدين الإسلامى بحاجة إلى إعلان بعد أن مكن الله له فى الأرض. شيئا فشيئا يزداد عدد سائقى التاكسى الذين لا يتوقفون إذا أشارت إليهم فتاة غير محجبة. أما فى قطارات المترو فقد أصبح مألوفا أن تدخل إحداهن إلى العربة المخصصة

للسيدات وتدعوهن فجأة ومن دون مبرر واضح إلى قراءة الفاتحة على روح موتى المسلمين جميعا. ماذا لو دخل قبطى يدعو الناس فى المترو إلى الترحم على أرواح ضحايا الاضطهاد الرومانى للمسيحيين؟ كيف سينظر إليه الآخرون؟. ثمة رغبة تتخذ شكل شبكة من البشر تتواثب لفرض مفاهيم سطحية للدين، وليس نشر كل ما فى ذلك الإيمان المنير من محبة وتراحم. وقد كنت مرغما ذات مرة داخل أتوبيس إلى سماع محاضرة طويلة عن نوع جديد من قطرة العين صنعت مستلهمة من القرآن الكريم! كما يكتشف البعض دون توقف أن كل الاكتشاف العلمية موجودة أصلا فى القرآن، لكنه لا يكتشف تلك الاكتشافات إلا بعد أن يكتشفها علماء آخرون فى الغرب! لماذا لا يكتشف لنا كل الفتوح العلمية فى النصوص الدينية على أن يفعل ذلك قبل ظهور تلك الاكتشافات؟. أضف إلى كل ذلك المساجد التى لا ترحم مكبرات الصوت فيها طفلا نائما أو شيخا مريضا فى الفجر. بينما مازلت أذكر إلى يومنا هذا أن إحدى القصص التى أثرت فى نفسى تأثيرا بالغا فى صباى كانت عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ أطال الصلاة ذات مرة ليعطى فرصة للأطفال لكى يفرغوا من لهوهم حول كتفيه! أما الآن فأرى فى شارعنا الذى لا يزيد طوله على

مائتى متر مسجدين يتقاطع فيهما صوت الأذان كل مرة فى ذات المساحة من الهواء، فلا تفهم شيئًا لا من الأول ولا من الثانى، وكأن المسألة مجرد إثارة ضوضاء للإعلان عن شىء معروف موعده مسبقًا بالساعات والمنبهات. وهم فى كل ذلك يتصورون أنهم سينشرون بالقوة دعوة لم تنتشر إلا بالحسنى والحب والتودد، وتسود خلال ذلك كله رغبة متحفزة فى استبعاد الآخرين، ونفيهم، تصل إلى حد التحريض على الأقباط فى خطب المساجد كل جمعة. وقد سمعت بنفسى ذات مرة خطيبًا يهتف: لا تصافح مسيحى، فإذا ألقى عليك السلام فتجاهله! ولاشك أن هذا المناخ المشحون بالبغضاء والتربص، وتقديس الشكل الدينى دون الجوهر، أبعد ما يكون عن روح الدين السمحة، وروح الوطن، وثقافة الأمة، وتاريخها. وقد بلغت الأمور حد أن إحدى المعلمات فى مدرسة يدرس بها ابن أحد الأصدقاء كانت تلقن التلاميذ الصغار أن "المسيحى" هى الكلمة المناقضة لكلمة المسلم! وفى حينه وجه صديقى خطابا إلى إدارة المدرسة يحتج فيه على ذلك النوع من التعليم! ولكن بم تنفع مثل تلك المبادرات الفردية وهى كثيرة؟ لقد أصبحنا فى أمسّ الحاجة لأن نسمع فى أجوائنا كلمات أخرى عن وحدة الأمة، ووحدة ثقافتها، وأهدافها، وعن الأخوة التى

تربط المسلمين بالأقباط، وهو أمر لن يتم إلا بالنظر من جديد لكل الجذور التى تنمو عليها حالة التربص هذه. أما إذا استمر المناخ الحالى سائدا، فلا ينبغى إذن أن نستغرب ظهور من قتلوا فرج فودة، ولا من اعتدوا على نجيب محفوظ، ولا من قاموا بعملية التفجير فى منطقة الموسكى. ذلك أننا نحرث التربة لكل تلك الأشواك التى لا ترى فى الآخرين سوى أعداء وخصوم. وكنت أتمنى أن أسمع، وأن أقرأ، وأن أشاهد الكثير عن معنى المظاهرة التى قام بها مئات المسيحيين احتجاجًا على تدنيس القرآن الكريم ودفاعًا عن قدسية وكرامة القرآن الكريم. ومازلت أتمنى أن تدوى أصوات خطباء المساجد بكل ما يحفل به تاريخ مصر من صور التآخى والتآزر بين المسلمين والأقباط، وأن تحتشد خطبهم بتلك الحالة، وأن تضرب الأمثلة بالأقباط الذين تبرعوا لبناء المساجد، والأقباط الذين استشهدوا فى سبيل حرية الوطن، والأقباط الذين شاركوا معنا فى خلق ثقافتنا بدءا من خليل مطران شاعر القطرين، وسلامة موسى، ولويس عوض، والفريد فرج، وغيرهم كثيرون ممن لا تحصى أفضالهم على الثقافة والوطن.

مايو ٢٠٠٥

* * *

الطريق للخروج من الأزمة

بعد أحداث الإسكندرية الأخيرة، أخذ الكثيرون يطرحون المشكلة القبطية أو الطائفية، ويحللون أسباب ما جرى: هل الحكومة هى المستفيد من ذلك، وهل هى التى تقف وراء الفتنة وتغذيها؟ هل يحتاج النظام المصرى لذريعة لتمديد قانون الطوارئ؟ هل الإخوان هم المستفيدون؟ هل تدخلت جهات أجنبية كأمريكا وإسرائيل تفيد الفتنة مصالحها وتثلج قلوبها؟ ورغم أن كل تحليل مهم لعلاج المشكلة، فإن الاقتصار على التحليل فقط ليس كافيًا. وهكذا يقترح البعض حلولاً عملية كأن يصل اليسار بدعايته إلى الجميع، ليوضح أن الخاسر الوحيد فى الفتنة الطائفية هم المصريون والفقراء منهم تحديدًا. وبذلك يطرح اليسار مفهومه الطبقى للأزمة، على أساس أن هناك مسيحيين ومسلمين أغنياء تربطهم مصالح قوية

بالدولة، وهناك فى المقابل مسيحيون ومسلمون فقراء، يواجهون معا الاستغلال. فهل تستحق هذه الفكرة الدعاية لها؟ وهل تمثل من باب أولى حلا للأزمة الطائفية؟. حلول أخرى لدفع الفتنة يرى البعض أنها تتمثل فى تنظيم الناس فى مؤسسات أو أحزاب أو جمعيات تدافع عن مصالح الناس مما يمنع انحدارهم إلى الصراع الطائفى. ولكننا إذا فكرنا قليلا فى موضوع تنظيم الناس لوجدنا أن خير ما ينطبق على ذلك الاقتراح هو المثل الشهير: "موت يا حمار على ما ييجى لك التنظيم أو العليق"! فإلى أن يقوم مثل ذلك التنظيم إذا قام أصلا، ستكون الفتنة قد زادت، وسيكون مئات القتلى والجرحى قد تساقطوا من الجانبين، خاصة أن اليسار -صاحب هذه الدعوة- يعانى تاريخيا أزمة تنظيم نفسه أولاً قبل أن يفتح الله عليه بتنظيم الناس. وفى اعتقادى أن علينا - قبل إلقاء اللوم على أى طرف حكومى أو إخوانى أو أجنبى- أن نلوم القوى المستنيرة، ومن ضمنها اليسار، والتى لا تستطيع أن تتبنى صراحة مطالب الأقباط العادلة المعروفة:

- نزع خانة الديانة من البطاقات وجوازات السفر، لأن المواطن يعرف بجنسيته وليس بدينه.
- مساواة الأقباط بغيرهم فى أوقات البث الإعلامى والتليفزيونى لطقوس الأقباط الدينية.

- الإلغاء النهائى والكامل لكل قرارات "الخط الهمايونى" التى تعود للقرن ١٩، والتى تلزم الأقباط بالحصول على موافقة رئيس الجمهورية أو غيره لإصلاح دورة مياه داخل كنيسة، أو ترميم كنيسة، وغير ذلك.

- إعادة أراضى الوقف المسيحية للأقباط.

- وقف كافة أشكال التمييز عند التعيين فى الوظائف، وفى الترقية، وفى الوصول إلى المناصب الكبرى كالمحافظ، والوزير، والمناصب الكبيرة فى الشرطة والجيش والجامعات والمعاهد.

- وضع القوانين اللازمة التى تُجَرِّم وتعاقب على "إثارة الكراهية" من فوق منابر الجوامع، وفى المدارس، والنظام التعليمى، وتطبيق ذلك.

- وضع مادة تاريخ فى المدارس بحيث تعتمد على حقيقة أن تاريخ مصر هو ضفيرة من الكفاح المشترك لكل أبنائها، وأن تاريخ مصر إبداع المسلمين والأقباط. وإدخال المراحل المسيحية فى مواد التاريخ، وهى المراحل التى لا تشير إليها مناهجنا بحرف واحد، بحيث ينشأ لدينا جيل من الأطفال يدركون أن "الله الرحمن الرحيم" هو "الله محبة"، والكف عن النزعة السائدة لإضفاء الطابع الإسلامى على مواد لا علاقة لها بالدين.

إن معاناة الأقباط تمتد إلى جوانب كثيرة منها ضعف التمثيل السياسى لهم، إذ ليس هناك سوى ٦ نواب أقباط فى مجلس الشعب من أصل ٤٥٤ نائبًا، منهم واحد منتخب وخمسة معينون، ووزيران، وهم يعانون مُناخًا من الكراهية المنحطة، والتكفير، وانحياز الدولة الدينى إلى الطرف الآخر، مما يشجع الكثيرين على التهجم الإجرامى على الكنائس والأفراد من الأقباط.

وفى اعتقادى أنه إذا كان للقوى المستنيرة من دور، فهو تبنى تلك المطالب المشروعة المذكورة، وتبنيها بقوة وصراحة، ومطالبة الدولة والضغط عليها لوضعها موضع التنفيذ؛ لأن ذلك سيعطى إخوتنا الأقباط على الأقل شعورا بأن هناك من يتفهم مشاكلهم ويسعى لتبنى حلول عملية لها. وإذا كانت تنظيمات كثيرة تحت أسماء مختلفة تريد أن تقدم لنا شيئًا ملموسًا، فلتبدأ ببيان يدعو الحكومة إلى تحقيق هذه المطالب، يوقع عليه الجميع، ولتواصل عملها من أجل مؤتمر لطرح هذه القضية وحدها، ليس من أجل تحليل ما يحدث، بل لرفع صوت هذه المطالب، والضغط إلى أن تتحقق، أما المظاهرات تحت شعار "ضد الطائفية"؛ فإنها تظل مظاهرات تحمل شعارًا عامًا. وكان يمكن لمظاهرات

تحمل شعارًا عامًا مثل "ضد الطائفية" أن تكون مفيدة، لو جاءت ردا على مظاهرات تحمل شعار "نحن مع الطائفية"، أما وأن ذلك لم يحدث، فلماذا نسير بشعارات عامة لا تمثل حلولاً ملموسة وواضحة؟. إننا بحاجة لتبنى تلك المطالب المحددة، وهى مطالب عادلة، ومن دون أن تصبح تلك المطالب واقعًا قانونيًا ودستوريًا سيظل هناك من يتجرأ ويرفع خناجره، وجنازيره، فى وجه إخوتنا الأقباط مستهدفًا تمزيق تاريخنا وحاضرنا ومستقبلنا.

نوفمبر ٢٠٠٥

* * *

الطائفية.... إلى متى؟

أربعة شهور فقط هى فترة الهدنة بين أحداث العنف الدينى بالإسكندرية نوفمبر العام الماضى ٢٠٠٥ وأحداث العنف فى الإسكندرية هذا الشهر. وهى فترة زمنية قصيرة تشير إلى أن التماسك القومى يتدهور بمعدلات سريعة وينحدر من الوطنية الجامعة إلى الانتماء الدينى. وإذا كانت أحداث نوفمبر قد شهدت الهجوم على الكنائس بالجنازير والخناجر، فإن أحداث الإسكندرية هذه المرة قد نزفت بدماء الجرحى والقتلى من الجانبين.

والتفسير الحكومى لما جرى فى الإسكندرية تفسير نفسى. فقد أكد بيان وزارة الداخلية أن محمود صلاح الدين الذى هاجم كنيسة مار جرجس إنما "يعانى من اضطراب نفسى"، وبعبارة أخرى فإنه "مختل". ومثل

هذا التفسير أسهل بكثير من إعلان الحقيقة والقول صراحة بأن الواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والثقافى هو المختل. فالقول بأن ثمة شخصا مختلا يعفى الدولة والنظام والجميع من أية مسئولية، لكن إذا كان الواقع مختلا فلابد أن هناك أطرافا ومؤسسات مسئولة تستوجب المحاسبة، كما أن الاعتراف باختلال الواقع لابد أن يستدعى ضرورة مراجعته، وهو أبعد ما تريده المنظومة السائدة والقائمون عليها الذين استراحوا إلى "ترحيل المشاكل" لأجيال أخرى وأزمنة وأمكنة فى طى المجهول. لكن السؤال هو: ما الذى قد تكسبه مصر من التمويه على الحقائق إذا خسرت نفسها ووحدتها الوطنية فى خضم العنف الدينى؟. وأزمة الحريات الدينية جزء من أزمة الحريات عامة، فمازالت إلى يومنا تُشكل لجان للنظر فى مكافحة حبس الصحفيين فى قضايا النشر، ومازال قانون الطوارئ سارى المفعول، ومازالت أحزاب كثيرة تعمل سرا دون ترخيص، ومازلنا نسمع عن منع مقالات لكتاب كبار فى صحف قومية كبيرة، ومازالت عمليات الاعتقال غير القانونية تجرى على قدم وساق، ومازالت الكتب تُصادر من وقت لآخر كلما عنّ لأحد أو جهة مصادرتها، ومازالت عمليات التعذيب فى

أقسام الشرطة مستمرة لا يتحكم فيها سوى مزاج الضباط الشخصى، ومازالت القوانين تجرّم حق التظاهر وتشكيل النقابات. وعلاوة على ترسانة القوانين التى تقيد الحريات بالنسبة للجميع، فإن أقباط مصر يعانون من عبئًا إضافيًا يتمثل فى سيادة ثقافة الكراهية العامة التى تروجها منابرنا كل يوم، وتبثها مدارسنا فى عقول الأطفال، كما يعانون الانحياز الدينى لأجهزة الدولة التى تتمسك بتعريف المواطن بديانته وليس بقوميته. وفى ظل هذه الظروف من الطبيعى أن يتجرأ الناس العاقلون والمختلون على الآخرين وعلى دور عباداتهم، ما دام الآخرون فى خانة مهمشة قانونيًا ودستوريًا وثقافيًا. لقد أصبح على الدولة أن تُقْدم على خطوة حاسمة، لأن ما جرى فى الإسكندرية مؤشر خطير، يهدد الجميع، ولابد أيضا للجهات المستنيرة أن تتبنى هذه المطالب، بحيث ينشأ لدينا جيل جديد من أطفال يدرك أن "الله رحمن رحيم"، وأن "الله محبة"، وأن تاريخ مصر ضفيرة من الكفاح والإبداع المشترك لجميع أبنائها: سلامة موسى وطه حسين وحسين بيكار، لويس عوض ويوسف إدريس، ألفريد فرج ود.عبد العظيم أنيس، إدوار الخراط ومحمد البساطى، فؤاد حداد ومحمد

المخـزنجى، د. مـارى تيـريـز عـبـد المسـيح ود. رضـوى عـاشـور، وغيـرهـم كثيـرون ممن استنارت مصـر بعلمهم وعملهم.

١٧ أبريل ٢٠٠٦

* * *

الدولة والنزعة السحرية

يعد اختفاء البشر من دون سبب واضح من الظواهر السحرية التى جاءت فى حكايات ألف ليلة وليلة، مثال ذلك حكاية الأمير الذى سحرته ابنة عمه الخائنة وسحرت معه مدينة السلطان محمود صاحب الجزائر السود وما فيها من الأسواق والغيطان، وكانت المدينة أربعة أصناف: مسلمين ونصارى ويهودًا ومجوسًا فسحرتهم ابنة العم سمكا، فالأبيض مسلمون، والأزرق نصارى، والأصفر يهود، والأحمر مجوس، ثم أخفتهم فى بركة ماء.

هذا فى الأدب، وليس فى الحياة، ومع ذلك فقد حدثت معجزات كتلك فى الواقع وليس فى الخيال، فقد اختفى الصحفى رضا هلال نائب رئيس تحرير الأهرام فى ١١ أغسطس ٢٠٠٣، وهو ملء السمع

والبصر، فلم يظهر له أثر من ساعتها ولم نعرف من الذى سحره إلى يومنا هذا؟. من الظواهر السحرية أيضا أن ترى أمامك بشرا، يتحركون، ويتزوجون، ويأكلون، لكنهم لا يُحسبون من بين الأحياء! أقصد مجموعة البهائيين المصريين الذين يسكنون المنازل، ويركبون المواصلات، ويعملون فى المؤسسات، ويتزوجون، وينجبون، ولكن ما من علامة واحدة فى سجلات الدولة تثبت أن لهم وجودًا شرعيًا وقانونيًا فى مصر! البهائيون موجودون، ويمكنك أن تلتقى ببعضهم، وأن تراهم، وتخاطبهم، وتسمع أصواتهم، ويمكنك - لقطع الشك باليقين - أن تمد أصابعك وتلمس أبدانهم لتستوثق بنفسك من أن وجودهم حقيقة. ومع ذلك، فسوف تفشل فشلاً ذريعًا إذا حاولت أن تتيقن من وجودهم الرسمى.

تسأل البهائى: ألست فلانا؟ يقول: نعم. تسأله: ألا تعمل فى المصلحة الفلانية؟ يقول: نعم. تسأله: أنت متزوج؟ يقول: نعم. تستفسر: لك أولاد؟ يقول: نعم. تسأله: هل لديك بطاقة أو شهادة ميلاد أو جواز سفر أو رخصة قيادة؟ يقول: لا. تسأله: هل تستطيع أن تشترى أو تبيع أو توقع عقدا؟. يقول: لا. تسأله: طيب.. هل تستطيع أن تتعامل مع البنوك؟ يقول: لا.

تسأل: هل تستطيع تحديد موقف أولادك من التجنيد؟. يقول: لا. لا أستطيع. وحينئذ تفرك عينيك وتدقق النظر إلى البهائى بحيرة، أهو حقيقة أم وهم؟ أبدان تدب على الأرض أم أطياف تسبح فى الجو؟ فإذا كانوا حقيقة فكيف اختفوا من كل الأوراق الرسمية؟ وإن كانوا وهمًا فكيف يتحركون ويأكلون وينامون؟ بل ينجبون؟! أتكون تلك هى الواقعية السحرية فى طبعتها المصرية؟ ومن هو المؤلف المبدع لذلك النص السحرى؟ أهو وزير العدل المصرى؟ أم وزير الداخلية؟ أم المناخ العام؟ البهائية حقيقة دخلت إلى مصر منذ منتصف القرن ١٩، وأصبح البهائيون بعدها جزءًا من نسيج المجتمع المصرى، والحديث بشأن مشكلتهم هنا أمر لا يتعلق بالدين والمسموح والممنوع؛ لأنهم لا يناشدون أحدًا الاعتراف بديانتهم، لكن ما ينشدونه هو حق التحول من وهم إلى واقع، أقصد حقوق المواطنة التى لا علاقة لها بالموضوع الدينى. فقد عانى البهائيون عجزهم عن تسجيل أنفسهم كبهائيين فى خانة الديانة والبطاقات الشخصية وقسائم الزواج وجوازات السفر، وواجهوا مختلف الصعوبات عند استخراج شهادات الوفاة، والتعامل مع البنوك وإدارات الحكومة، وإلحاق أبنائهم

بالمدارس والجامعات، وإثبات موقفهم من التجنيد، أو حصول أراملهم على المعاش، أو مجرد إتمام عمليات البيع والشراء! الغريب أن هناك حالات لبهائيين كانت الزوجة فيها أمريكية والزوج مصرى، أو العكس، وصدرت شهادات ميلاد للأطفال من دون ذكر أية ديانة أصلا! ربما لأن البهائى الأمريكى من النوع الأصلى ومش مضروب كالبهائى المصرى!.

وقد ظهرت مشكلة البهائيين منذ زمن بعيد، وفى حينه ففصلت فيها محكمة شرعية مصرية عام ١٩٢٣ وقضت بالاعتراف بالبهائية كدين. لكن الدولة أغلقت فيما بعد محافلهم بالقرار الجمهورى رقم ٢٦٣ لعام ١٩٦٠، واعتبرتهم بفتوى أزهرية ملة مارقة، وجاء قرار آخر عام ١٩٦١ حرم الاعتراف بالبهائية. ثم وصلت الأمور حد إلقاء القبض على مجموعة من البهائيين فى فبراير ١٩٨٥ كان من بينهم الرسام المعروف حسين بيكار! ما يطالب به البهائيون أمر لا علاقة له بالاعتراف بديانتهم من عدمه، إنهم يطلبون منحهم شهادات ووثائق بدون أية هوية دينية، يطالبون بحقوق المواطنة لتنظيم شئون حياتهم وحياة أولادهم. هذا أو يظل البهائيون موجودين وغير موجودين، يتحركون على شعرة دقيقة بين الواقع والوهم، وفى هذه الحال

ينبغى على الدولة أن تمنح مؤلف ذلك النص السحرى جائزة الدولة التقديرية فى الأدب، على أمل أن تمتد واقعيته السحرية فيحول أنواع البشر المتبقية إلى أسماك تطويها مياه البركة التى تخفى الحكومة فى أعماقها القضايا المهمة!

١٤ مايو ٢٠٠٦

* * *

جبهة إسلامية - مسيحية

تم الإعلان فى القدس الشرقية عن تكوين "جبهة إسلامية مسيحية" بزعامة كبار رجال الدين الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين. وأعلنت الجبهة أن الهدف من قيامها هو العمل المشترك على حماية الآثار الإسلامية والمسيحية المقدسة، والدفاع عن المسجد الأقصى فى وجه الهجمة الأخيرة التى ترمى لتقويض أو تهويد المسجد فى إطار المخطط الإسرائيلى لتهويد القدس الشرقية المعمول به منذ احتلال ٦٧. وبطبيعة الحال، فإن لتلك الآثار التى تعتزم الجبهة الدفاع عنها - غير أهميتها المعمارية كأثر حضارى - أهمية خاصة اكتسبتها من اعتبارات أخرى دينية وتاريخية ووطنية حين خرجت المشاعل مرفوعة من تلك الأماكن لمواجهة ظلام الاحتلال

والاستعمار. ولهذا فإن العمائر والقباب تجسيد لقيم معنوية جديرة بالحماية. إلا أن هناك الكثير من القيم المعنوية والوطنية - نحيا بفضلها - من دون تجسيد ملموس، أو حجارة، أو مبنى، وكلها فى أمس الحاجة للدفاع عنها وحمايتها، وبعضها مثل حجر الوحدة الوطنية المصرية الراسخ عرضة للضعف بعد نحو ثلاثين عاما كاملة من التوتر الطائفى، منذ وقوع حادثة "اخميم" عام ١٩٧٠، وبعد أن كان أحمد شوقى يخاطب الوطن بقوله: "ولو أنى دعيت لكنت دينى.. عليه أقابل الحتم المجابا" انقلبت الآية وأصبح دين كل جماعة هو وطنها، وغدا قول أحمد شوقى من الآثار التى تحتاج إلى حماية ودفاع، مثله مثل أنشودة بديع خيرى وسيد درويش: "لا تقول نصرانى ولا مسلم.. اللى أوطانهم تجمعهم.. عمر الأديان ما تفرقهم". تُرى، ألسنا بحاجة إلى جبهة إسلامية مسيحية مصرية لحماية قيمنا المعنوية؟ ألسنا بحاجة لائتلاف إسلامى مسيحى ثقافى تمضى مواكبه وأدباؤه فى كل ناحية لحماية آثارنا المعنوية؟. لقد راح الواقع يلتهم كل قيم التآخى، ويستأصلها، ويقتلعها من جذورها على نحو بربرى ووحشى، حتى أخذت تلح علىَّ ضرورة ظهور قافلة ثقافية من كتابنا المسلمين المسيحيين، تتحرك

فى كل مكان، وتتوجه للأقاليم، وتقيم الندوات وتنشط من أجل الدفاع عن قيمنا وآثارنا المعنوية.

مارس ٢٠٠٧

* * *

أيام عزبة واصف
وأيام طه حسين!

أسبوع واحد بالضبط يفصل ما بين التفكير فى حذف "أيام طه حسين" من مناهج التعليم، وأحداث الفتنة الطائفية فى عزبة واصف! الخبر الأول تم الإعلان عنه فى صفحة الصالون الثقافى بجريدة الجمهورية فى ٥ مايو ٢٠٠٧، وجاء فيه أن مديرية التعليم فى القاهرة رفعت تقريرا إلى مستشار اللغة العربية فى وزارة التربية تنتقد فيه تدريس كتاب "الأيام" لطه حسين فى المرحلة الثانوية وتطالب بوقف تدريسه. وذكر الموجهون والمدرسون الذين شاركوا فى كتابة التقرير أنهم حصلوا على وعود شفهية بوقف تدريس الكتاب.

لكن ما الذى أثار حفيظة أولئك فى تلك "الأيام"، السبب كما جاء فى تقريرهم أن الكتاب يحتوى على

نـقـد لاذع للأزهـريـين وهـو: "مـا لا يـلـيق بـالـدرس التربوى"، وعلى حد قولهم فإن "الأيام" لا تتضمن سوى القليل من الكفاح فى مسيرة طه حسين العلمية، كما ان طه حسين نفسه كان يعتبر كتابه "غير ذى قيمة"! لا أدرى بالضبط أين أو متى اعتبر طه حسين أن كتابه "غير ذى قيمة"، ولا أدرى ما هى مديرية التعليم؟ ومن هم المدرسون والموجهون؟ ما إنجازهم أو قدرهم الثقافى الذى يؤهلهم للحكم على عميد الأدب العربى والمطالبة بحذف كتابه؟! إنهم كبار أدباء ومفكرى وشعراء ونقاد مديرية التعليم الحائزين على جوائز بارك العيد وقم حيى العلم و"اوسمة" إنَّ، ولكنَّ التى تمنحها مدرسة راتب باشا! إنهم النسخة المنقحة من عمال مطابع مجلة إبداع الذين يصادرون المجلة كلما عنَّ لهم ذلك، إنهم من يطردون كل فكرة مستنيرة وكل كتاب ذى قيمة من التعليم ومن رؤوس الطلاب، ليصونوا من بين علوم الوراثة والذرة وثورة الاتصالات والرياضيات واستكشاف الكواكب علم "المبتدأ مرفوع والخبر منصوب"! ويتذرع أدباء المديرية فى تقريرهم بأن طه حسين تناول الأزهريين بالنقد اللاذع، فهل الأزهريون ملائكة محصنة ضد النقد؟ أو الفساد؟ أم أنهم بشر؟ فيهم الصالح وفيهم الطالح؟ وبأى حق

يمنح أدباء المديرين الأزهريين حصانة ليست لهم؟ أم أن الأمر يستدعى أن نذكر لهم صفحات من تاريخ الأزهريين مع شعراء وش البركة ليدركوا أن الأزهر لا يمنح أحدا مع شهاداته صكا بالنقاء والطهر؟ لم يقم طه حسين الذى يدرس كتابه منذ أكثر من عشرين عامًا بأكثر من انتقاده للبعض، علمًا بأن طه حسين نفسه أزهرى!

لكن القضية أبعد من ذلك، وهى تتعلق بما يقوم به جيش التيار الدينى السلفى من حرث لمناهج التعليم وإحراق كل زرع مفيد فيها، بحيث لا يبقى سوى القشور، وهو التيار ذاته الذى يحرث الوعى الاجتماعى مستنبتا أشواك الفتنة الطائفية. لهذا لم يكن مستغربا أن نسمع فى ١١ مايو بعد أسبوع واحد من نشر خبر أيام طه حسين عن أحداث عزبة واصف وثلث سكانها من المسيحيين، وعن الاشتباك الذى استُخدمت فيه الأعيرة النارية بين المسلمين والمسيحيين وسقوط عدد من القتلى من الجانبين بعد محاولة إحراق الكنيسة هناك. العجيب فى الأمر أن المحرضين على الفتنة كانوا من المدرسين أيضا! أقول ليس مستغربا أن تندلع تلك الفتنة بعد نبأ عن عزم المديرية على حذف طه حسين، ذلك أن مناهج التعليم

عندنا صارت مشبعة بالكثير من ألوان التمييز والجهل والبغضاء التى ينشرها "أدباء المديرية" على حين أن دور تلك المناهج هو حماية الوحدة الوطنية. لقد أصبح من الضرورى مراجعة تلك المناهج بحيث تشتمل على قيم وطنية، جامعة، ترسخ الوعى بأن الدين لله والوطن للجميع، فى التاريخ والأدب والمواد النظرية كافة. إننا نريد مناهج علمية لا يتم فيها حذف طه حسين، بل إضافة المزيد من أعمال الكتاب المستنيرين، مثل سلامة موسى، ومحمد مندور، نريد مناهج تعتمد فيها مادة التاريخ على حقيقة أن تاريخ مصر ضفيرة من الكفاح المشترك لكل أبنائها، وأن تاريخها إبداع المسلمين والأقباط، فتتضمن المراحل القبطية من التاريخ التى تقفز فوقها المناهج وتوجزها فى كلمتين، هذا لكى ينشأ لدينا جيل من الأطفال يدرك أن "الله الرحمن الرحيم" هو "الله محبة".. هذا وإلا فإننا سنجد أنفسنا وقد خسرنا معركة الوحدة الوطنية فى مواجهة جيش الفكر الدينى المتعصب الذى يهيئ التربة المصرية للعنف، ويشن حملة على الثقافة والفنون باعتبار أنها فى معظمها ألوان من النشاط المحرم.

إن المسافة ليست بعيدة بين محاولة إسقاط كتاب عميد الأدب العربى ومحاولة إحراق كنيسة؛ إذ يقفز

المتعصبون من حذف المعانى إلى المبانى ومن هدم العبارة إلى الحضارة. وفى هذا السياق فإن "أيام عزبة واصف" هى الأيام التى يريدون تعميمها، وهى عندهم أجمل وأصلح للدرس من "أيام" طه حسين!

مايو ٢٠٠٧

* * *

وحش التمييز

ربما يكون السؤال الأساسى فى موضوعنا هو: متى ظهرت الطائفية فى مصر؟ وأين تكمن جذور انفجارها المتكرر خاصة فى العقود الأخيرة؟. ويمكن طرح السؤال ذاته من الجانب الآخر المقابل: متى اختفت الطائفية فى مصر؟ وأين تكمن جذور الوئام القومى بأبعاده الدينية والاجتماعية؟. الملاحظ أن حدة الظاهرة الطائفية اختفت فى تاريخ مصر فقط فى اللحظات التى شهدت فيها مصر مشروعا قوميا عاما للنهضة. حدث ذلك عند المواجهة الشعبية المشتركة للغزو الفرنسى عام ١٧٨٩، حيث رفض الأقباط الانضواء تحت لواء الجنرال يعقوب، وأداروا وجوههم لمساعى بونابرت لبذر بذور الخلاف بينهم وبين المسلمين، وواجهوا مع إخوانهم المسلمين الغزو فى

القاهرة والصعيد. حدث ذلك التلاحم أيضا خلال مشروع محمد على للنهضة بمصر، وفى عهد حفيده الخديو إسماعيل الذى كان أول من عين وزيرًا قبطيًا، وقدم الأقباط أرواحهم فداء لمصر خلال مواجهة الاستعمار البريطانى، ودورهم سنوات الاحتشاد لثورة ١٩، وخلال الثورة معروف، حيث وقف الشيخ محمد عبد المطلب عام ١٩١١ يخطب فى حشد كبير من المسلمين يحتفلون بعيد رأس السنة القبطية قائلا لهم: كلانا على دين به هو مؤمن.. ولكن خذلان البلاد هو الكفر!. أخيرًا شهدنا ذلك التلاحم الوطنى فى مرحلة عبد الناصر، وحينما لم يفرق الرصاص الإسرائيلى والأمريكى بين قبطى ومسلم فى ١٩٦٧، وفى حرب الاستنزاف، وحرب أكتوبر.

ويذكر سلامة موسى فى كتابه "تربية سلامة موسى" أنه كان من القبط كاهن معروف هو القسيس سرجيوس الذى كان لا يبالى أن يقول ويكرر أنه: "إذا كان استقلال المصريين يحتاج إلى التضحية بمليون قبطى فلا بأس من هذه التضحية". وحين قرر القس سرجيوس عام ١٩٤٩ خوض المعركة الانتخابية، لم يكن معه مليم واحد، فخرجت وراءه الناس من كل الطوائف يؤيدونه هاتفين فى الشوارع: "من غير

فلوس.. يا سرجيوس"! وفى سبتمبر عام ١٩٢٣ عند عودة سعد زغلول من منفاه، قال فى أول خطاب له: "رصاص الإنجليز لم يميز بين قبطى ومسلم من أبناء مصر"!

وكتب بديع خيرى وغنى سيد درويش:

اسمع اسمع منى كلمة

إن كنت صحيح بدّك تخدم..

مصر أم الدنيا وتتقدم

لا تقول نصرانى ولا مسلم

اللى أوطانهم تجمعهم

عمر الأديان ما تفرقهم.

همُّ التحرر الوطنى، وإنجاز مشروع عام للنهضة، لم يترك فرصة للأديان لتفرق الناس. وقد صحا هذا الشعور فى تاريخنا الأحدث زمن عبد الناصر حينما كان المواطن يحس بأنه مصرى أولاً قبل أن يكون مسلمًا أو مسيحيًا وأن هويته الوطنية والقومية تسبق هويته الدينية. إلا أن عهود النهضة التى انطوت على مشروع للتحرر والبناء لم تستطع أن تنتزع أبدا وبشكل نهائى جذور الطائفية، لكنها كانت تخفف من حدتها. ذلك أن عنصر "المشروع القومى للنهضة والتحرر" الذى يصهر الناس معا فى بوتقة أمل كبير بالترقى،

هو عنصر متحول، يظهر ويختفى ليؤثر سلبًا أو إيجابًا على القضية، وخلال ذلك تظل عناصر أخرى ثابتة تغذى الطائفية وتنتهز أية فرصة للظهور بقوة. من تلك العناصر الثابتة الطابع الدينى للدولة، والفقر، والجهل الذى لا تنمو فى ظله ثقافة ناهيك عن ثقافة التسامح، ثم وضع الأقلية وعلاقة الأغلبية بها. فإذا تلاشى المشروع القومى للتقدم والتطور، تقدمت العناصر الأخرى الثابتة - على انفراد أو مجتمعة - تنهش وحدة الأمة.

* * *

الدولة والدين

حتى عام ١٨٥٥ كان الأقباط محرومين من دخول الجيش، وكانوا يدفعون الجزية. وفيما بعد صدر دستور ١٩٢٣ - بعد ثورة ١٩ الوطنية - يتضمن كفالة المساواة للمصريين جميعا بغض النظر عن الدين أو الجنس أو اللغة. ومع ثورة يوليو وضع عبد الناصر حجر الأساس لكاتدرائية البطرسية بالعباسية تأكيدا على التقاليد الوطنية العريقة، إلى أن جاء أنور السادات فقام عام ١٩٧١ بالنص فى المادة الثانية من الدستور على أن "الإسلام دين الدولة ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع"، وكان نص المادة قبل ذلك يخلو من أل التعريف التى أضافها السادات. وفى واقع الأمر أصبح النص (بأل التعريف) تشريعًا

دستوريا للفتنة الطائفية أعقبه دعم السادات للجماعات الإسلامية وإطلاق يدها لتصفية التيار الوطنى وإنجازات ثورة يوليو، تمهيدًا للتسوية السياسية الأمريكية. وسرعان ما برزت آثار التشريع، عندما قام "مجهولون" عام ١٩٧٢ بإحراق كنيسة شُيدت من دون ترخيص فى منطقة الخانكة بمحافظة القليوبية فخرج الأقباط يحتجون فى مظاهرة.

وسرعان ما أخذت تشحب وتتراجع للخلف إنجازات ثورة ١٩ وثورة يوليو الفكرية، وفى مقدمتها مبدأ "الدين لله والوطن للجميع"، والتأكيد على أن "مصر للمصريين" وهى دعوة أحمد لطفى السيد الذى كتب فى ٥ فبراير ١٩٠٨ يقول: "إن من بيننا من لا ينفك يفخر بانتسابه للعرب الأولين، كأنما انتسابه إلى الجنس المصرى نقص وعيب، كما أن منا من يفضل الرابطة الدينية على رابطة الجنسية الوطنية، فإن لم نذهب عنا هذا التحلل نمت أسبابه، وفشت نتائجه"، وأخذت تعلو من جديد الأصوات التى ترى أن الإسلام الرابطة الوحيدة بين أهل مصر. وزاد السادات الطين بلة حين أعلن فى أغسطس ١٩٧١ عن عزمه على إصدار قانون الردة الذى يعاقب بالإعدام كل مرتد عن الإسلام! وأدرك الأقباط أن ذلك القانون

سيعود بهم إلى وضع "أهل الذمة"، وصرح البابا شنودة بأن: "مشروع القانون يتنافى مع الدستور" لأنه يستبعد أى عقيدة أخرى غير الإسلام. وفى ٥ سبتمبر ١٩٧٧، أعلن الأقباط صيأما امتد لخمسة أيام احتجاجًا على مشروع القانون فتراجعت الحكومة عن الأخذ به، وكتب مصطفى أمين فى أخبار اليوم فى عموده "فكرة" يقول: "حمدت الله أن القانون الذى وافق عليه مجلس الدولة بإعدام المرتد عن الإسلام لم يصدر منذ سبعين عاما، فعندما أصدر قاسم أمين كتابه تحرير المرأة اتهموه بالارتداد عن الإسلام، وعندما أصدر الشيخ على عبد الرازق كتابه الإسلام وأصول الحكم اتهموه بالارتداد عن الإسلام، وعندما أصدر طه حسين كتابه فى الشعر الجاهلى اتهموه بالارتداد عن الإسلام" ورغم تراجع الدولة فإن مجرد طرح القانون للنقاش كان بمثابة إشارة للجماعات الإسلامية بالموقف الرسمى المؤيد لها؛ مما شجعها على المزيد من النشاط. وتوالت بعد ذلك أحداث العنف بدءًا من "كنيسة الخانكة" عام ١٩٧٢، وأحداث الزاوية الحمراء (منطقة شعبية فى مصر) فى ١٧ يونيه ١٩٨١، وقتل فيها حسب الإفادة الرسمية تسعة أقباط، أو نحو ثمانين قبطيًا حسب تقدير الكثيرين، وأُحرقت فيها

منازل ومحلات الأقباط. وادعى أنور السادات أن المذبحة جرت بسبب: "ماء غسيل وسخ ألقاه قبطى على عائلة مسلمة"! بينما كان الصراع يدور حول قطعة أرض لبناء إما كنيسة أو جامع! وفى ١٩٩٤، وقعت أحداث قرية صنبو بأسيوط وقتل فيها ١٣ مواطنًا، وفى فبراير ١٩٩٦ وقعت حوادث مماثلة فى كفر دميان بالشرقية، وفى فبراير ١٩٩٧ اقتحم اثنان ساحة الصلاة فى كنيسة مار جرجس بقرية "أبو قرقاص" بالصعيد وأطلقا النار على الأقباط دون تمييز. وشهدت مصر بعد ذلك أشد ألوان العنف فى أحداث قرية الكشح بالصعيد فى أول أيام سنة ٢٠٠٠ وأسفرت عن مقتل نحو عشرين قبطيًا. وقد طرحت تلك الأحداث، وما تلاها، حقيقة أن ما يسمى النسيج الوطنى المشترك يتعرض لأزمة شديدة، وأن التغنى بالحديث عن "وحدة الوطن" أمر لا يكفى للحفاظ على ذلك النسيج، كما أن رسائل المواساة، والقبلات المتبادلة بين شيخ الأزهر والبابا لم تعد مجدية. وقد صفعت أحداث الإسكندرية المؤسفة فى أكتوبر العام الماضى الجميع بحقيقة الأزمة، وبحجم الأزمة التى نزفت بدماء القتلى من الجانبين، وبتحطيم الكنائس والهجوم عليها بالجنازير والخناجر. وبيّن ذلك كله بما

لا يدع مجالا للشك أن مصر تواجه منعطفًا خطيرًا، يتعمق بمعدلات سريعة ويمتد من الريف والصعيد (المناطق الأكثر فقرا وحيث تتدنى نسبة التعليم) إلى المدن المتنورة والمتعلمة، وأن الحالة القومية تنحدر بمعدل سريع من الوطنية الجامعة إلى كهوف الانتماء الدينى والتعصب الأعمى. ولا يمكن لشخص لديه قليل من الإنصاف أن ينكر ما يعانيه الأقباط باعتبارهم أقلية بين أغلبية عم فيها فكر الإسلام السياسى المتطرف، بدءًا من خطب الأئمة فى الجوامع التى تحرض على الأقباط وتدعو لعدم مصافحتهم، وانتهاء بالتشريعات الرسمية التى تكرس التمييز. وللأقباط مطالب محددة، لابد من الاستجابة لها، لنزع فتيل الأزمة التى تتفاقم فى مناخ من الكراهية المنحطة، والتكفير، وانحياز الدولة الدينى إلى الطرف الآخر مما يشجع الكثيرين على التهجم الإجرامى على الأقباط وعلى الكنائس.

ولا شك أن هناك عوامل - غير دينية - تكمن وراء الطائفية وفى مقدمتها الفقر، والبطالة، وغياب المشروع الوطنى، والجهل، ولكن إذا كانت الدولة عاجزة عن حل أى من تلك المشكلات، فإن بوسعها - مع ضغط من المثقفين المستنيرين - أن تبدأ

بالاستجابة لحقوق الأقباط ومطالبهم لرفع التمييز الدينى. هذا أو أن الطائفية التى سوف تتغذى على الفقر والجهل المتزايدين سوف تصبح وحشًا، تطعمه قوى داخلية وخارجية، ليصبح قادرًا على ابتلاع ما تبقى من مصر.

مايو ٢٠٠٧

* * *

الأزمة فى الأدب المصرى

نحن أمام أكثر من مائة عام انقضت ما بين صدور أول رواية تتناول أوضاع أقباط مصر وهى "القصاص حياة" لعبد الحميد خضر عام ١٩٠٥، وبين أحدث الأعمال التى تتناول القضية ذاتها وهى رواية "شيكاجو"، لعلاء الأسوانى الصادرة عام ٢٠٠٧.

هو قرن كامل تعرض فيه موضوع التمييز الدينى، أو الطائفية بتفجرها، أو العلاقة بين مسلمى ومسيحيى مصر، إلى تغيرات كثيرة، ومن ثم كان انعكاسها فى الأدب المصرى بأشكال مختلفة وعبر رؤى عديدة. وبطبيعة الحال فإننا لسنا بصدد تقديم ثبت بأسماء الروايات والأدباء الذين تناولوا ذلك الموضوع، ولا الرصد التاريخى للتحولات فى التناول

الأدبى لتلك الظاهرة وفهمها والموقف منها، فتلك
مهمة فوق طاقتى، لكن كل ما أتمناه هنا أن أعرض
بعض تجليات العلاقة بين الأقباط والمسلمين فى
الأدب، عند لحظات التحول الفاصلة بما يكفى لإلقاء
الضوء على القضية.

من هذا المنطلق ربما تكون رواية "شيكاجو"[1] لعلاء
الأسوانى أفضل ما نبدأ به، ليس فقط لتأثير أعمال
ذلك الكاتب وانتشارها غير المسبوق ولكن لأن
"شيكاجو" هى أيضا أحدث ما صدر من أعمال أدبيا
تتناول الطائفية. وقد سبق للأسوانى أن تناول
الموضوع ذاته فى رواية "عمارة يعقوبيان"[2] حيث قدم
شخصية قبطية هى سناء فانوس التى تدارى شعورها
بالذنب من علاقاتها العاطفية بعمل الخير عن طريق
الكنيسة. أيضا فإنه فى مجموعته "نيران صديقة"(
فى قصته المسماة "عزت أمين إسكندر" يتخذ من عزت
القبطى بطلا، ويصف لنا: "ابتسامته الخافتة
الوديعة.. ونظرته القبطية"، وهو ما يكرره الأسوانى
فى "شيكاجو" حين يقدم لنا د. كرم دوس المهاجر
المصرى إلى أمريكا بقوله: "رجل مصرى، ملامحه
قبطية خالصة". وخلافًا لما هو شائع بأن تمييز
القبطى عن المسلم بالملامح أمر مستحيل، يك

الأسوانى أن يوقن بأن لأقباط مصر ملامحهم الخاصة الفارقة. ويطرح الأسوانى فى روايته "شيكاجو" الأزمة الطائفية من زاوية جديدة هى: تدويل الصراع أو الأزمة عن طريق أقباط المهجر. وينطلق فى عمله من ركيزة أساسية أن الأقباط فى مصر يعانون اضطهادًا واضحًا صريحًا لا يمكن إنكاره. ويكر الأسوانى خيط الأزمة فى الرواية بزيارة من صفوت شاكر مسئول المخابرات فى السفارة المصرية لعميل من الدارسين ليسأله عن الطلاب الأقباط الدارسين فى جامعة "إيلنوى"، ويطلب منه إعداد تقرير عن د. كرم دوس أحد زعماء الأقباط فى المهجر. ويقدم لنا الأسوانى حكاية كرم دوس فنعرف أنه كان يدرس الطب فى جامعة عين شمس إلى أن عطله عن الالتحاق بقسم الجراحة والنجاح فى الماجستير أستاذه المسلم د. عبد الفتاح بلبع الذى يحتقر الأقباط كافة ولا ينادى أيًا منهم إلا بكلمة "خواجة" أى يا أجنبى، ومن ثم يقرر كرم دوس الهجرة لأمريكا لكن بعد أن يقول لأستاذه صراحة : "أنت تظلمنى لأنى قبطى". فى مدينة شيكاجو يلتقى كرم دوس بناجى عبد الصمد الذى جاء للدراسة فيقول لناجى: "الأقباط مضطهدون فى مصر.. هل سمعت

عما جرى فى قرية الكشح؟ لقد تم ذبح عشرين قبطياً
أمام أعين الشرطة ولم يتحرك أحد لإنقاذهم"(٤). وفى
المقابل يطرح ناجى رؤية أخرى للمسألة حين يقول
لكرم دوس: "النظام فى مصر مستبد وفاسد يضطهد
المصريين جميعا مسلمين وأقباطا.. جميعا يعانون من
التمييز ضدهم ماداموا ليسوا أعضاء فى الحزب
الحاكم.. أنا مسلم لكنهم رفضوا تعيينى فى جامعة
القاهرة بسبب نشاطى السياسى"(٥). ويتبين لنا مدى
وحشية التمييز الدينى حين يقدم كرم دوس وهو أحد
أمهر جراحى القلب فى مدينة شيكاجو، عرضاً
لجامعة عين شمس لإجراء العمليات مجانًا مرة فى
العام للمرضى فى مصر لكن الجامعة تتجاهل
اقتراحه! ويضيف الأسوانى إلى شخصية كرم دوس
بعدًا إنسانيًا حين يصف لنا كيف قبل كرم دوس
بإجراء عملية مجانًا لإنقاذ حياة الدكتور عبد الفتاح
المسلم الذى سبق أن أغلق فى وجهه فرص العمل
والنجاح لمجرد أنه قبطى!. فى الرواية يقوم ناجي عبد
الصمد المسلم المستنير، وكرم دوس القبطى، ود. جون
جيراهام اليسارى الأمريكى معًا بتنظيم مظاهرة فى
شيكاجو للمطالبة بوقف اضطهاد الأقباط فى مصر
مع مطالب أخرى. ومع أن التدخل الخارجى فى الأزمة

الطائفية لم يتوقف يوما داخل مصر، إلا أن حدة ذلك التدخل ازدادت فى العقد الأخير بحيث وجدت ذلك الانعكاس فى رواية شيكاجو باعتبارها أن تدويل الأزمة ظاهرة جديدة. وفي الرواية سنجد إذن اعترافًا لا لبس فيه بوجود أزمة طائفية وبالاضطهاد الذى يعانيه الأقباط، كما سنجد أيضًا نظرتين للأزمة الطائفية والموقف منها تميزت بهما تاريخيًا حركة الطليعة:

الأولى التى ترى اضطهاد الأقباط باعتباره جزءًا من اضطهاد سياسى عام، والثانية التي تقدر أن للمشكلة -علاوة على جذور الاضطهاد العامة- طابعها الخاص المعقد.

أما عن أول رواية بذلك الشأن فإن الإشارة إليها تأتى عند الدكتور سيد حامد النساج فى كتابه "بانوراما الرواية العربية الجديثة"(٦)، حين ينوه بكاتب لم يرد اسمه فى أى من المؤلفات وهو عبد الحميد خضر القرقاصى، مؤلف رواية "القصاص حياة" التى صدرت عام ١٩٠٥، وجاء فى مقدمة المؤلف لروايته أنه استند فى عمله إلى حادثة حقيقية وقعت يوم الأربعاء ٢٧ أكتوبر ١٩٠٣ فى بلدته أبوقرقاص بمديرية المنيا. وتدور القصة أو الرواية حول أن كرلس

عبد الملك الترابى الشاب اللاهى دبر حيلة لقتل ابن عمه غالى؛ لأن ابن عمه كان قد خطب نجلاء التى كان كرلس يحبها بجنون. وهكذا يدس كرلس السم فى حلوى لغالى، لكن صبيًا عابرًا يأكل الحلوى ويموت بها. ويعرض المؤلف سجن كرلس، وصدور الحكم بالإعدام عليه، ثم تفكير كرلس فى تغيير ديانته لينجو من الحكم.

ويطرح الكاتب أيضا قضية أخرى شائكة أى زواج البنت عند المسيحيين رغم أنفها، ويرفض ذلك. وهكذا نجده يخوض فى قضايا شائكة. وبنص كلمات د. النساج فإن تلك الرواية - على حد علمه - هى أول رواية تتناول مشكلة خاصة بالبيئة المسيحية فى صعيد مصر، وهى "جرأة لم تتأتَّ إلا لكاتب مسيحى هو عيسى عبيد عام ١٩٢٢". ومع أن عبد الحميد خضر لم يطرح المسألة من زاوية الصراع الطائفى، إلا أنه قدم للمرة الأولى موضوع التمايز الثقافى والدينى بين المسلمين والأقباط وقضية تغيير الديانة التى مازالت تثير المشكلات إلى يومنا. وما بين رواية "القصاص حياة"، ورواية "شيكاجو" فرضت المسألة الطائفية نفسها على الأعمال الأدبية برؤى عديدة متسقة إلى حد كبير مع التوجه العام لهذه المرحلة التاريخية أو تلك، وما رافقها من نهوض أو انحطاط.

وفى خضم ثورة ١٩، التى وحدت الشعب المصرى بأقباطه ومسلميه فى مشروع وطنى، برزت رواية "عودة الروح" لتوفيق الحكيم التى كتبها عام ١٩٢٧ سنة وفاة سعد زغلول زعيم الثورة. وسنلحظ أن الرواية تتحدث عن "التحام الكل فى واحد" وأن الحكيم جعل سَنية بطلة الرواية تجسيدًا لوحدة تاريخ مصر: الفرعونى القبطى، والإسلامى، حين رمز لها بإيزيس، فهى سنية المسلمة وهى فى الوقت ذاته إيزيس، وهى تجمع فى كل الأحوال حبيبها الوطن وتوحده. وعلى حد قول على الراعى: "سنية إذن هى إيزيس جمعت أوصال البلاد" لتعيد الروح إليها(٧). هذه الرؤية الموحدة للأقباط والمسلمين هى أيضا التى ألهمت النحات العظيم محمود مختار عبقرية تمثاله "نهضة مصر" عام ١٩٢٨، الذى جسد به مصر فى هيئة فلاحة تضع يدها على رأس أبى الهول فى كتلة صخرية واحدة فرعونية قبطية - عربية مسلمة. فى مارس من العام ذاته أصبح ويصا باشا واصف أول قبطى يُنتخب رئيسا لمجلس النواب؛ ولم يكن مستغربا أن تتردد أغنيات سيد درويش وبديع خيرى التى تقول: "لا تقول نصرانى ولا مسلم.. اللى أوطانهم تجمعهم.. عمر الأديان ما تفرقهم". وبانحسار المد الوطنى، تمكن

الطاغية إسماعيل صدقى عام ١٩٣٠ من إلغاء دستور ١٩٢٣الذى كان ثمرة الكفاح الوطنى المشترك للمصريين على اختلاف أديانهم ليفتح بذلك الباب للطائفية، وفى "السكرية" يعترف نجيب محفوظ بوجود أزمة طائفية، ويحدد موقفه منها على لسان كمال عبد الجواد وطبيعتها فى تلك المرحلة متسائلا: كيف يتأتَّى لأقلية أن تعيش وسط أغلبية تضطهدها؟"، وبالرغم من ذلك فإن محفوظ يعرض لصداقة ومودة لا يفرقها اختلاف الدين بين كمال المسلم والقبطى رياض قلدس، هذا على الرغم من أنهما: "لم يكونا شيئا واحدا، وإن كانا متكاملين فيما يبدو"(٩)، وتنفجر مشكلة الطائفية على لسان رياض حين يصارح كمال بقوله: "إن الأقباط جميعا وفديون، ذلك أن الوفد حزب القومية الخالصة التى تجعل من مصر وطنًا حرًا للمصريين على اختلاف عناصرهم وأديانهم، ولذلك كان الأقباط هدفًا للاضطهاد السافر طوال عهد صدقى"(١٠). ويوجز رياض الأزمة التى يعيشها القبطى قائلا: "أشعر فى أحايين كثيرة بأن المسيحية وطنى لا دينى، وربما إذا عرضت هذا الشعور على عقلى اضطربت.

ولكن مهلا.. أليس من الجبن أن أنسى قومى؟ شىء واحد خليق بأن ينسينى هذا التنازع ألا وهو

الفناء فى القومية المصرية الخالصة" [١١]، وحين يعرب رياض عن شعوره بأن المسيحية وطنه فإنه فى حقيقة الأمر يشير إلى زاوية فى غاية الأهمية هى التمايز الثقافى الذى يرافق المواطن منذ نعومة أظافره.

ومن الغريب أن يشير كاتب قبطى آخر بعد انقضاء نصف القرن - وهو رؤوف مسعد - إلى الظاهرة ذاتها حين يقول: "هناك بدهيات أهمها أنى لا أستطيع التنكر لجذورى الثقافية الدينية (بالرغم من عدم إيمانى) التى تعطينى قدرا من الخصوصية فى كتاباتى الأدبية لا يمتلكه الكاتب المسلم" [١٢] . ورغم أن مدًا طائفيًا ظهر فى الأربعينيات خاصة مع بروز الإخوان المسلمين، إلا أن ثورة يوليو عالجت بطريقتها الخاصة الأزمة الطائفية، بحيث أصبحنا نقرأ لإحسان عبد القدوس قصة مثل "الله محبة"، وبحيث أصبح عبد الحميد جودة السحار يكتب "المسيح عيسى ابن مريم" جنبا إلى جنب مع "السيرة النبوية" وكأنه ينهل من نبع واحد. إلا أن أزمة الطائفية تفجرت أعنف ما تكون بعد ذلك، وتحديدا عندما تخلى أنور السادات عن اسم "الجمهورية العربية المتحدة" وأعلن فى ١١ سبتمبر ١٩٧١ الدستور المعمول به إلى اليوم والذى نص فى مادته الثانية على أن: "الإسلام دين الدولة ومبادئ

الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع"، وأطلق فى الوقت ذاته كل القوى الدينية الرجعية من إسارها ليواجه بها التيار القومى واليسارى المعارض للتحولات التى قام بها. وفى ١٤ مايو ١٩٨٠وهو ذروة الصراع الدينى والطائفى، أعلن السادات فى خطاب له: "أنا رئيس مسلم لدولة إسلامية" وهو ما لم يصرح به أى حاكم مصرى منذ محمد على حتى قاله السادات متجاهلا الثنائية الدينية فى مصر. ومنذ عام ١٩٧٢ لم تتوقف أشكال الصراع الطائفى بين المسلمين والأقباط المستترة طوال الوقت، والعنيفة المتفجرة فى ذروة الأزمات. وبعد أن كان الوطن دين المصريين، أصبحت أديانهم أوطانهم، مما فرض على الأدب طرحًا آخر أشد صراحة، وأكثر وضوحًا. وهكذا ظهرت رواية "وعلى الأرض السلام" لفاروق خورشيد عام ١٩٨٤ بعد وفاة السادات، والواضح أنها كانت ثمرة تأمل ورد فعل على عنف الأزمة الطائفية التى بلغت ذروتها فى أحداث الزاوية الحمراء فى ١٧ يونيو ١٩٨١ التى أُحرقت خلالها منازل ومحلات الأقباط، وقتل فيها نحو ثمانين قبطيا حسب تقدير غير حكومى أو تسعة حسب الإفادة الرسمية. وادعى السادات أن المذبحة بسبب: "ماء غسيل وسخ ألقاه قبطى على عائلة مسلمة"! بينما دار

الصراع على قطعة أرض لبناء إما كنيسة أو جامع. وفى روايته يجدد فاروق خورشيد مواثيق الحركة الوطنية تجاه الأزمة، ودعوة توفيق الحكيم إلى وحدة تاريخ مصر وتجميع أوصال البلاد، إلا أن خورشيد لا يجعل شخصيته الأولى فى الرواية امرأة، بل رجلا قبطيا هو فيليب! وإذا كان الحكيم قد دمج إيزيس فى سنية، فإن خورشيد يدمج فيليب فى رمز عربى هو سيف بن ذى يزن، وترد على لسان إحدى الشخصيات عبارة: "الكل فى قارب واحد"(١٢) المرادفة لعبارة "التحام الكل فى واحد" التى أشار إليها د. الراعى بشأن عودة الروح، وعبارة نجيب محفوظ "كانا متكاملين فيما يبدو"، وكلها تنويعات مستنيرة على شعار القومية المصرية "الدين لله، والوطن للجميع". وإجمالا يمكن القول إن ضمير الأدب المصرى لم يتخل لحظة عن شعوره بالتسامح ودعوته إلى التآخى، وإن كان لكل قاعدة استثناء، ليس فقط على صعيد الأدباء المسلمين، بل على صعيد الأدباء الأقباط. فبينما أخذ الإخوان المسلمون يلحون مؤخرا على الدعوة إلى "أدب إسلامى" بل إلى "أسلَمة العلوم"، أى إضفاء الطابع الدينى الإسلامى على شتى نواحى الفكر، فإن بعض الأقباط أخذوا بدورهم، وكرد فعل، يتشبثون بفكرة الأدب القبطى، وإحياء الموسيقى

الفرعونية، بل اللغة القبطية القديمة. وفى هذا الصدد يشير د. عبد المحسن طه بدر فى كتابه تطور الرواية العربية الحديثة (١٨٧٠- ١٩٣٨) فى أماكن متفرقة إلى دور ما يمكن أن نسميه النظرة الدينية المسيحية فى الرواية المصرية، فيقول إن جورجى زيدان الشامى المتمصر كان كثير التعاطف فى رواياته مع الفرس والأرمن والبرامكة وغيرهم، ولم يكن منصفًا للعرب والمسلمين، وعادة ما تكون الصفات الإيجابية من حظ أبطاله المسيحيين، وهو ما فعله فرح أنطون فى روايته "أورشليم الجديدة" التى تحدث فيها عن فتح العرب لبيت المقدس، ورغم ميول فرح أنطون الاشتراكية، فقد كان ملحوظًا: "تعصبه ضد العرب والمسلمين، ويظهر ذلك أولا فى أن جميع أبطال قصته كانوا من غير العرب والمسلمين.. كما أنه حقر النبى أرميا فى روايته لأنه أسلم". هناك أيضا رواية تبشير مسيحى كتبها من يدعى "مسيو ثيوبلد" عام ١٩٢٨ باسم "زهرة الغابة" ونشرتها مطبعة النيل المسيحية، وفيها دعا كاتبها المسلمين إلى المسيحية وتعصب تعصبًا شديدًا ضد الإسلام. ويرجع الدكتور عبد المحسن طه بدر ذلك إلى أن غالبية أولئك المؤلفين كانوا من الشوام الذين لم ينصهروا فى بوتقة التاريخ المصرى[١٤] . وفى هذا

الإطار تظهر رواية "اللوح المكسور" لزكى غوربال زكى، فتكشف عن تلك الخصوصية الثقافية التى تمثل جانبا من الأزمة، وتبين أن للمسألة الطائفية جانبًا أبعد من أن يحل بمجرد قيام نظام سياسى عادل يقر فى الدستور بحقوق الأطراف كافة، ويضعها موضع الممارسة الفعلية. فى روايته يفتح الكاتب أمام أعيننا الحياة القبطية، وطقوسها الدينية، ويطرح إلى جانب ذلك جوهر الأزمة حين يقول "باولا" الراوى لزوجته ناهد إن سبب صدور قرار بنقله من وظيفته فى القاهرة إلى بنى سويف هو تلك "التفرقة الدينية". ويرسم الأستاذ غوربال صورة دقيقة للنفسية القبطية الحذرة، المترددة، التى تكونت عبر تاريخ طويل من التمييز. انظر مثلا حين تقول ناهد لزوجها باولا: "إذا توحدنا لن يقدر أحد على النيل منا" فيجيبها بقوله: "وإذا تكتلنا سينالنا كل الضرر"، وتوضح إجابة باولا هذه شعور الأقباط من ناحية بضرورة توحدهم، وخوفهم فى الوقت ذاته مما قد يجلبه عليهم ذلك التكتل من صدام ومشكلات. هذه النفسية الحذرة التى يخلقها الشعور الدائم بتربص الآخرين بصاحبها، تبلغ أعلى درجاتها حين يلتقى "باولا" بزملائه الجدد فى العمل وكلهم من المسلمين ما عدا "متياس" القبطى،

ويقوم أحدهم بتعريف الآخرين إلى باولا قائلا له: "لدينا كل التخصصات.. أنا وسيد فرغلى طاولة.. فرغلى متخصص جلبهار، همام دومينو، الأستاذ متياس شطرنج". ويفكر باولا كالتالى: "إنه يحب الشطرنج"، لكنه لو أعلن ذلك "يفهم ضمنا تشيعه لمتياس"! إلى هذه الدرجة يصل الحذر من سوء الفهم، ومن مظنة التشيع! ويقرر باولا أنه "بما أنه قرر تنحية قبطيته جانبا.. وخشية أن يشعروا بأنه يرفضهم.. قرر الذهاب معهم". إذن هناك قبطية تتم تنحيتها لصالح الأغلبية؟ الحذر يصل بباولا إلى درجة أنه حين يلعب طاولة مع محمد أفندى - يفكر كالتالى: "خشى من ١٦١٠ فوزه على محمد أفندى.. فلعب كيفما اتفق حتى لا يستثيره ضده.. لكن الحظ عانده وكسب"! (فوز القبطى هنا سوء حظ عليه أن يتفاداه!) ويمضى باولا مفكرا بينه وبين نفسه: "اجتهد ألا يكسب فى الأدوار التالية" لكنه يفوز رغم اجتهاده لكى يخسر! ويفكر: "ماذا يفعل فى مواجهة تلك الكارثة؟"، إن باولا يعتبر فوزه على مسلم فى ألعاب التسلية على أقل تقدير سوء حظ إن لم يكن كارثة! ويختار باولا كمخرَج من المأزق أن يغير نوع اللعبة ليتمكن من الخسارة! المهم أن يحتفظ بود الآخرين نحوه. إن باولا: "غريب وعاجز، ينمو بداخله رفض

لحالته لكنه لا يملك حلا"(١٥). وما يعانيه باولا ليس حالة تخصه هو، بل هى حالة عامة، ويؤكد ذلك ما يصفه لنا الكاتب من بيت متياس القبطى، فهناك: "باب حديدى فى كل ركن منه صليب مستتر فى التشكيل الحديدى"، وحتى الأقمشة التى تغطى الأجهزة الكهربائية فإنها عبارة عن "كسوة مزركشة.. والزركشة تحتوى على صلبان مستترة"!. وليس لمداراة النفس والعقيدة من سبب سوى ما أشاعته الأغلبية فى نفوس الأقلية من خوف وحذر. إن الصورة النفسية التى قدمها الأستاذ غوريال لوجدان الأقلية هى تكثيف حقيقى للأزمة فى أعمق وأبعد مستوياتها الروحية غير المرئية.

وقد ظهرت فى العقد الأخير أعمال أدبية عديدة تعكس عمق الأزمة الطائفية، منها رواية "يقين العطش"، ورواية "صخور السماء" التى تتناول حكاية أسرة قبطية بالكامل لإدوار الخراط، ورواية "الغردقة" لرافت الميهى، ورواية "صانعة المطر"، رواية "بيضة النعام" لرؤوف مسعد، ورواية "سانت تريزا" لبهاء عبد الحميد، وكذلك "أحزان بلدنا" لمكرم فهيم، ورواية "كف مريم" لسعيد سالم وغيرها، وقد يوضح هذا الاهتمام الكبير من جانب الكتاب، وذلك الكم الضخم

نسبيًا من الروايات عمق الأزمة وحاجتها إلى حل. إلا أننا نفضل أن نتوقف هنا عند كاتب عظيم هو بهاء طاهر وروايته البديعة "خالتى صفية والدير" ليس فقط لقدر كاتبها الأدبى، ولكن لأنها تواصل اللحن المصرى الأساسى الداعى لوحدة الوطن بقوة واقتدار.

وتعكس رواية "كف مريم" لسعيد سالم الأزمة حين يعرض لنا التعصب الذى تعانى منه مريم فى عملها، ومثلها مثل د. كرم دوس فى "شيكاجو" تتعرض لتعطيل ترقيتها حتى لتسأل نفسها: "أى وطن هذا الذى لا أستطيع الحصول فيه على حقى دون أن أريق ماء وجهى؟".

ويزحف التعصب الأسود إلى ما هو أكثر من ذلك حين يقتل "دانيال" شقيق مريم داخل صيدليته على أيدى مجرمين ملتحين، ارتكبوا جريمتهم وسرقوا أمواله من الخزينة. سمير زخارى القبطى المهاجر صديق مريم تحدث صراحة عن "الإرهابيين المصريين" الذين قتلوا صديق الدراسة فرج فودة، ويواصلون حملات القتل "ضد الأقباط أحيانا، وضد الأقباط والمسلمين أحيانا أخرى بلا أدنى تفرقة". إلا أن كف مريم تمتد فى نهاية العمل إلى زميلها القديم حليم صادق المسلم الذى استطاع بالحب أن ينتزع من قلبها

الشوك الذى غرسته الفتنة والتعصب والعدوان[١٦]، وبشكل عام يمكن القول إن الأدب المصرى حيثما صور الأزمة كان ضميره فى معظم ما يبدعه ينبض بحب مصر، والحرص الشديد على وحدتها، والقلق على مستقبلها، والدعوة لإنصاف الأقباط ووقف التمييز ضدهم. وفى هذا المجال تشغل رواية بهاء طاهر "خالتى صفية والدير" مكانة خاصة للغاية مستمدة من القدرة الأدبية التى لا نظير لها، ومن الضمير المرهف للروائى بهاء طاهر. وقد خرجت الرواية إلى النور عام ١٩٩١، وكانت من زاوية ما رد فعل على أحداث العنف التى تلاحقت ما بين ١٩٨٠ - ١٩٩٠ خاصة فى جنوب مصر. الرواية مقسمة إلى أربعة أجزاء بعناوين "المقدس بشاى"، و"خالتى صفية"، و"المطاريد" ثم "النكسة" وأخيرا "خاتمة"[١٧]. وقد سعى الكاتب ونجح فى أن يشعر القارئ عبر صفحات الرواية كلها بأن حياة المصريين واحدة سواء أكانت فى بيت مسيحى أم مسلم، وأن اختلاف الدين لا يجعلنا مختلفين إلى درجة الصراع؛ لأن ما يجمعنا فى الحياة أكثر بكثير وأقوى. وحتى عندما يصف الكاتب "الجلايات" التى يعيش فيها الرهبان داخل الأديرة، فإنه يصفها بحيث تبدو قريبة للبيوت داخل القرية. وتدور أحداث الرواية

فى قرية صغيرة فى صعيد مصر تقع بالقرب من أحد الأديرة القبطية. ويصف لنا الروائى الكبير فى الفصل الأول "المقدس بشاى" حياة القرية والصلات الطيبة التى تربط ما بين أهلها، ويتذكر كيف كان ينتظر قدوم العيد ليحمل وهو صبى صغير الكعك إلى الدير، وكيف كان يلتقى هناك بالمقدس بشاى الذى يترك فى نفس الصبى أثرا لا يمحى بمودته وطيبته.

أما عن صفية، الشخصية الرئيسة، فإنها ليست خالة الراوى فى الواقع، لكنها بنت خال أمه، إلا أنه اعتاد أن يناديها بقوله "خالتى صفية". هكذا يطرح بهاء منذ البداية وحدة تاريخ مصر، ثم يطرح صفية، والدير، كحقيقتين لابد أن تتعايشا فى وئام وحب. صفية تحب حربى قريبها وتقول عنه إنه "مثل فلق القمر"، وحربى يعشقها، والقرية كلها تعلم أن صفية لحربى، وحربى لصفية. إلا أن "البك" صاحب القصر يطلب صفية زوجة له، ولا يمكن رد طلبه.

هكذا تنصاع صفية وتتزوج البك وتنجب له ابنه حسان..وتتحرك الوشاية لتلعب دورها حين يسمع البك بأن حربى يخطط لقتل حسان، انتقامًا من البك. وتتعقد الأحداث بحيث يجد حربى نفسه مرغما على قتل البك بالفعل، ومن ثم يتم سجنه.

أما صفية التى كانت تعشق حربى، فإن الكراهية تشغل قلبها كله الآن، بل إنها لا شاغل لها سوى ترقب خروج حربى من السجن لتقتله هى، أو يقتله ابنها حسان. وعندما يخرج حربى من السجن، لا يجد ملاذا له سوى فى الدير. وهنا يصبح الدير قائما على خط الاشتباك بين صفية وحربى. ويقول أحدهم لصفية: "إن خرج من الدير قتلناه، ولكننا لا نستطيع أن نقتله فى الدير.. حرام". ويكرر فارس زعيم المطاريد المعنى ذاته قائلا لحنين باستنكار: "تريدنى يا حنين أن أعتدى على الرهبان الذين أوصى عليهم ربنا سبحانه وتعالى فى القرآن؟". ورغم أن أئمة المساجد كانوا يسبون الكاتب والرواية فى خطب الجمعة حين تحولت لمسلسل تليفزيونى، فإن الرواية فى واقع الأمر لم تتعرض بشكل مباشر للطائفية، إلا من زاوية نفيها لجذور الطائفية بالتأكيد على المحبة التى تجمع أهل القرية، وبأن الدير كان يمثل فيما يمثل حماية لحربى المسلم، وفى ذلك المجال تحديدا نجح العمل فى نقل رسالة حب تبدد أجواء الظلام القاتمة، ومن هذا المنظور تحديداً، أى نقل رسالة تآخٍ، وليس عرض المشكلة، كانت جدة وعظمة رواية بهاء طاهر الذى طرح القضية من جانب آخر على نحو أدبى رائع لا يتأتى سوى لأديب كبير مثل بهاء طاهر.

الهوامش

١ - علاء الأسوانى "شيكاجو" - دار شروق - القاهرة -الطبعة الأولى ٢٠٠٧.
٢ - علاء الأسوانى "عمارة يعقوبيان" - مكتبة مدبولى - ٢٠٠٢.
٣ - علاء الأسوانى -"نيران صديقة" دار ميريت -القاهرة- ٢٠٠٤.
٤ - الأسوانى - "شيكاجو"، ص ١٦٥.
٥ - الأسوانى - المصدر السابق، ص ١٦٤.
٦ - د. سيد حامد النساج "بانوراما الرواية العربية الحديثة" - دار المعارف - القاهرة ١٩٨٠، ص ٢٤.
٧ - د. على الراعى -"دراسات فى الرواية المصرية". المؤسسة المصرية العامة - القاهرة - ١٩٦٤، ص ١٠٥ - ١٠٦.
٨ - نجيب محفوظ -"السكرية" مكتبة مصر -الطبعة الثالثة - ١٩٦١، ص ١٧٦.
٩ - نجيب محفوظ - المصدر نفسه -ص ١٧٤.
١٠ - نجيب محفوظ - المصدر نفسه -ص ١٧٥.
١١ - نجيب محفوظ - المصدر نفسه -ص ١٧٦.
١٢- رؤوف مسعد حوار معه - ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٥-شفاف الشرق- سامح سامى.
١٣- فاروق خورشيد - وعلى الأرض السلام- الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٤.
١٤- د. عبد المحسن طه بدر - تطور الرواية العربية الحديثة فى مصر ١٩٣٨ - ١٨٧٠. دار المعارف المصرية - الطبعة الرابعة ١٩٨٣ - ص ١٠٨، ١١٣ - ١١٤.

١٥ - زكى غوريال زكى -اللوح المكسور- القاهرة - الحضارة للنشر - يوليو ٢٠٠٠ - ص ١٢- ١٤، وص ١٩٩٦.
١٦- سعيد سالم -كف مريم- مطبوعات اتحاد الكتاب المصريين ٢٠٠١.
١٧ - بهاء طاهر - خالتى صفية والدير - روايات الهلال - القاهرة ١٩٩١.

-١-

الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين

بقلم د. مجدى يوسف
مستشار هيئة اليونسكو فى شأن الحوار بين الثقافات

هـذا هـو عـنـوان واحـد من أجـمل مـا قـرأت فى الوحدة الوطنية بأسلوب روائى آسر يجعل القارئ يأتى على فصوله فى جلسة واحدة دون توقف. فكاتبه لا يتمتع فقط بروح وطنية عالية، وليس فقط بالتزام إنسانى رفيع، وإنما هو فى الوقت ذاته أديب مخضرم من أسرة شاعرة، وإن كان له بصمته المتفردة عن سائر أقربائه الكبار من الكتاب الشعراء. هو الدكتور أحمد الخميسى الذى لا يمهر كتاباته ولا عموده الأسبوعى

فى " أخبار الأدب " بلقبه العلمى، حتى يقرب المسافة بينه وبين قارئه، بينما ما يكتبه يبز أكثر ما يدونه أفضل الأكاديميين، ولكن بأسلوب جزل محبب ينساب إلى عقل وقلب القارئ بلا حواجز أو عبارات "مكلكعة".

وفى كتابه هذا الصادر فى عام ٢٠٠٨ كان أحمد الخميسى يثير قضية كامنة كالنار من تحت الهشيم، وكأنه يستشرف ما حدث فى الأيام الأخيرة من مآسٍ تفتقر إلى أبسط مبادئ العقلانية بين بنى عنصر واحد للأمة، لا عنصرين: فكل من الأقباط والمسلمين من أبناء وبنات هذا الشعب هم من صلبه، فكلمة "قبطى" تعنى "مصرى". والإسلام الحق لا يبدأ بالرسالة المحمدية، وإنما هو استمرارية لكافة الرسالات السماوية من عهد نوح وإبراهيم عليهما السلام حتى نبى الإسلام محمد بن عبد الله. ومن ثم فقراءة الإسلام على أنه يقصى ما عداه من رسالات سماوية هو ليس من الإسلام فى شىء. لذلك فمظاهر التمييز بين المسلم وغير المسلم لا تتعارض فقط مع حقوق المواطنة، وإنما هو يتناقض أصلا مع روح الإسلام الحق. فما معنى أن يكون الاختلاف الشكلى فى الدين سببا فى عدم الحصول على وظيفة، أو

تفضيل مسلم على غير مسلم فى الترقية، أو أن يرفض طفل مسلم أن يلعب مع رفيق له قبطى فى حضانة الأطفال، ناهيك عن سائر مراحل التعليم ؟ أو أن ينظر إلى غير المسلم بشىء من الاستبعاد والتمييز؟ وما معنى أن تثور قرية بأكملها لأن أقباطا أقاموا الصلاة فى منزل؟! أو أن تنهب متاجر لأقباط وتحصد أرواحهم وهم خارجون من دار عبادتهم فى يوم عيدهم لمجرد أنهم ينتمون لدين سماوى أتى الإسلام مكملا له؟ وما علاقة هؤلاء أصلا بجريمة يُتهم فيها أحد الأقباط كى يُغتالوا فى يوم عيدهم ؟ وهب أن ذلك له علاقة بعادة الثأر فى الصعيد، وهى التى تنحو لأخذ ذوى الرحم بجريرة من قد لا يعرفون صاحب الجريمة أصلا، وإن انتموا شكلا لملته، أو لقبيلته، أو طائفته الدينية، فهل يجوز أن تقف الدولة بكافة أجهزتها مكتوفة الأيدى أمام ظاهرة الثأر دون أن تعالجها من منابعها، وليس باتخاذ الإجراءات الإدارية بعد تفاقمها؟ وأين تكمن تلك المنابع إن لم يكن فى السنوات الأولى من العمر، ابتداء من رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية؟، بل قبل ذلك من خلال القصص التى ترويها الأمهات على فلذات أكبادهن حتى يداعب النوم أحلامهم؟ أما اللجوء للوسائل الأمنية، فهو آخر

ما يؤدى لحل هذه المشكلة، أو لردع مرتكبيها، إن لم يصور لهم ولأترابهم أنهم "يحمون" دينهم من الآخر، بل إنهم مستعدون لـ "الاستشهاد" من أجل ذلك؟!

إنما يكون الحل الحق للمشكلة على المدى المتوسط والبعيد بتنشئة الطفل على نحو مختلف، وأن تعطى كافة حقوق المواطنة بلا أى تمييز لكافة بنات وأبناء هذا الوطن الذى صار مطمعًا لفريقين يكمل أحدهما دور الآخر: للاستعمار الجديد بما تمثله مصالح هيمنته على منطقتنا من الحرص على تقطيع أواصر الوحدة الوطنية فى أكبر بلد عربى، سعيًا لتقزيمه، وتسهيلا لمحو دوره التاريخى، وبلقنة شعبه بدعاوى طائفية لا علاقة لها بالدين من قريب أو بعيد، هذا من ناحية، ثم استغلال هذا المخطط العدوانى الخارجى من الناحية المقابلة للنزعة الساعية لـ"تطهير" هذا البلد من غير المسلمين بشتى الوسائل المباشرة وغير المباشرة التى تستهدف اقتصار مصر على أبناء عقيدة واحدة فى تصورهم، بينما لا يعى أصحاب هذه النزعة أن ذلك لا يختلف جذريا وحسب مع الإسلام الذى يتصورون خطأ أنهم "حماته"، وإنما هو يتفق مع النزعة العنصرية ذاتها التى تنادى بها إسرائيل حين ترفع راية "الدولة اليهودية" فى المنطقة،

وأن ما يطمحون إليه هو أفضل ما يرميهم فى أحضان أعداء شعوب المنطقة الوافدين عليها من ثقافات استعلائية استعمارية طامعة فى نهب ما تبقى من ثروات هذه البلاد، مع الحرص على إبادة شعوبها بأيديهم هم أنفسهم إن أمكن!

يبدأ كتاب أحمد الخميسى بقصة الغلاف: زوجان قبطيان لم يرزقا بولد يشعران بالأبوة الحانية إزاء طفلة توفى والدها البواب فى دارهما، فيقومان باحتضانها فى منزلهما. لكن الجيران يلمحون ويلمظون هنا وهناك أن الطفلة ستنشأ على دينهما، وفى النهاية يجبر الزوجان على التخلى عن الطفلة التى لا تفهم شيئًا مما يدرى، وتذرف الدموع وهى تتشبث بباب منزلهما راجية إياهما أن يعيداها إلى "دارها"، ولكن صاحب الدار القبطى يرد عليها وهو يتمزق حزنًا من وراء الباب المغلق: ما اقدرش، أنا باحبك زى بنتى تمام، لكن ما اقدرش صدقينى.. وفى فصل آخر من هذا الكتاب المؤثر يعرض الكاتب لرواية "أحزان بلدنا" للكاتب والمحامى القدير مكرم فهيم، والتى تتمحور أحداثها حول استشهاد المقدم نبيل يعقوب فى المنيا وهو يفض اشتباكًا مسلحًا بين مسلمين وأقباط، حيث يبكى والد الشهيد متسائلا:

"هل الأقباط أقلية مستضعفة ؟ هل هم جزء من نسيج الوطن؟ أم أن الحديث عن نسيج واحد لم يعد سوى محاولة لصرف الأنظار عن التعدى؟ من أين خرج التعصب والإرهاب وأصبح لرصاصه ذلك الدوى المسموع فى مصر كلها فى فبراير ١٩٩٤ حينما أطلق الإرهابيون النار على المصلين فى كنيسة أبو قرقاص وفى غيرها من قرى الصعيد؟" وحيث يتساءل مؤلف الرواية على لسان يعقوب نصر الله، أحد ضباط الثورة: من المسئول عن المناخ العام الذى يولد الإرهاب؟ ويجعل البعض يفتى صراحة بأن من صافح قبطيا فقد كفر؟، ومن المسئول عن اعتماد جامعاتنا المصرية كرسيا للغة الأرمينية، بينما ترفض تأسيس كرسى للغة القبطية التى هى من تراث المصريين جميعا؟! ومن المسئول عن الخط الهمايونى الذى يمنع استصلاح الكنائس لدورة مياه إلا بإذن خاص؟" . ويبين أحمد الخميسى أن مكرم فهيم لا يقدم صورة مثالية للأقباط فى مقابل صورة سالبة لسواهم، فمن بين الأقباط متعصب يقتل أخته لأنها تزوجت مسلمًا، ومن بينهم المحتال والأهوج الذى يلجأ للغرب ولأمريكا على رأسها مطالبا بـ "حقوقه من الخارج!"، فالقبطى فى رواية مكرم فهيم "من نفس العجين الذى خرج منه

الآخرون": لأن القضية فى النهاية ليست قضية دينية، وإنما هى اجتماعية، وسياسية اقتصادية. وأضيف بدورى أنها قضية تربوية ثقافية فى المقام الأول تتعلق بتكوين الوعى الاجتماعى العام فى هذا البلد. ومن ثم فصاحب رواية "أحزان بلدنا" ينتصر فى نهايتها للتآخى، والعقل، والاستنارة. فحين تكلف الجماعة الإرهابية شابًا مسلمًا من بينها باغتيال أحد الأقباط، ويستيقظ ضمير الشاب رافضًا التكليف، يصبح هو الآخر ضحية للرصاص. وهو ما صار يشكل ظاهرة أعيد إنتاجها فى مأساة نجع حمادى، إذ أُجبر بعض المعتدين على الخوض فى عملية القتل العشوائى للأقباط فى يوم عيدهم؛ خوفًا على حياتهم هم أنفسهم من انتقام محرضيهم إن لم ينصاعوا لأوامرهم بتنفيذ الاعتداء.

وفى فصل مؤثر ثالث من بين فصول هذا الكتاب الذى لا تتعدى صفحاته الـ ١٤٥ من القَطْع الصغير حتى ليصلح للقراءة فى المواصلات العامة، إذ ما أسهل أن يوضع فى الجيب أو فى حقيبة السيدات، يروى الكاتب قصة رحلة مشتركة بين المسلمين والأقباط نظمتها جمعية أهلية قبطية لزيارة المعالم التاريخية للمنيا ليشاهدوا تل العمارنة، ومقابر بنى

حسن، وجبل الطور الذى يقع فيه دير السيدة العذراء التى احتمت به خلال عبورها بمصر ومعها السيد المسيح طفلا، وتونة الجبل.. إلخ؛ حيث كانت تجلس هدى طعيمة إلى جوار ميرفت عبد الناصر، وميلاد يعقوب، وجورج ميخائيل مع أخيهما أحمد الخميسى، الكل تجمعهم روح المحبة والتجاذب فى رحلة تمثل "مستقبل بلدنا" كما يدعوها مؤلف هذا الكتاب فى سردياته الممتعة المليئة بأحلام مستقبل مضىء لهذا البلد يخرج من أحشاء هذه الظلمة إن تعلمنا منها الدروس وسارعنا بعلاج دائها من جذوره الممتدة فى الطفولة وفى التعليم العام والإعلام المرئى والمسموع.

وإنى لأتساءل: لم لا يطبع هذا الكتاب صغير الحجم عظيم النفع فى " سلسلة الأسرة "، حيث أوجه النداء من هذا المنبر إلى اللجنة المشرفة على تلك السلسلة الشعبية وعلى رأسها الدكتور فوزى فهمى؟. ولم لا يقرر الدكتور وزير التعليم الجديد، هذا الكتاب السردى الشائق على طلبة المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد المتوسطة بالمثل؟ أليس فى بث هذه الروح السمحة من خلال قصص هذا الكتاب التى تجمع بين التشويق والتأثير الإيجابى ما يمكن أن يعالج تلك الآفة الاجتماعية فى مكمنها بدلا من تجاهلها لتتفاقم حتى

يضطر المجتمع للجوء للحلول الأمنية التى مهما كانت قاسية، فهى لن تفلح بأن تكون أبدًا رادعة؛ لأن بذور تلك السلوكيات الإرهابية لا تكمن فى سلوكيات فاعليها، وإنما فى تنشئة أجيال بكاملها فى الأسرة، والمدرسة، والمجتمع بوجه عام. من هنا فالمواجهة الفاعلة الحقة يجب أن تبدأ من الدار والمدرسة فى السنوات الأولى من العمر بخاصة. ولعل عبقرية هذا الكتاب تتمثل فى إحياء تراث بيرم التونسى ووريثه صلاح جاهين الذى كانت كتاباته ورسومه تخاطب جميع الأعمار من الأطفال حتى أكبر البالغين سنا؟، وإنى لأتساءل: لم لا تحول قصص هذا الكتاب إلى مسلسلات تليفزيونية تمثل علاجًا دراميًا لهذه الظاهرة التى تهدد بأن تعصف بهذا البلد وبشعبه الذى لا يستحق بالتأكيد شيئا من ذلك ؟

د/ مجدى يوسف ـ جريدة القاهرة

٢٦ يناير ٢٠١٠

* * *

-٢-

الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين

علاء الديب

"الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين فى مصر" كراسة صغيرة جميلة الإعداد. أحمد الخميسى هو الآخر قصاص وكاتب نادر، جوهرة يصقلها العمل والالتزام والاستقامة، هو من مواليد ١٩٤٨ فى حى المنيرة السيدة زينب، يحب أن يقول إنه ولد فى عام النكبة، وهو طبعًا ابن الإنسان والفنان الشامل والظاهرة الأستاذ عبد الرحمن الخميسى، وأظن أنه

هو الذى ظل قريبا منه حتى النهاية بعيدًا عن مصر التى وهبها فنه وحياته. أحمد الخميسى كذلك عاش سنوات طويلة فى موسكو حيث حصل على الدكتوراه فى الأدب الروسى أو الأدب المقارن، واشتغل بمراسلة الإذاعة والكتابة للصحف العربية والمصرية. وكان قد أصدر فى مطلع شبابه (١٩٦٧) عام النكسة مجموعة قصصية، ونشر بعد ذلك عددًا كبيرًا من الكتب والمترجمات التى تجمع بين الفن والدراسة الملتزمة. وأصدر أخيرا مجموعة قصصية نادرة باسم قطعة ليل عن دار ميريت عام ٢٠٠٤ ، ولهذه المجموعة نضوج خاص وتميز فى شكل الكتابة ومضمونها، والخميسى أيضا صاحب باب مميز فى جريدة أخبار الأدب. وأنا لا أقدم أحمد الخميسى، فالحياة الثقافية والأدبية تعرفه جيدا، ولكننى أحاول أن أربط هذا الاسم وهذا الطريق بالكتاب الصغير والمهم الذى بين أيدينا. وأنا وإن كنت لا أرحب كثيرا بالكتب التى تجمع المقالات الصحفية؛ إلا أن هذا الكتاب يبدأ وكأنه مشروع قصص حارقة فى موضوع ساخن، ثم يسير فى تتابع يشمل ١٧ قطعة متصاعدة تجمع شتات ظاهرة الفتنة الطائفية أو الوحدة الوطنية أو الأحداث المؤسفة أو الواقع الاجتماعى والثقافى المختل باسم التدين

الجديد الذى يحجب الوحدة والإبداع والسلام الاجتماعى والتقدم. كل هذا الموضوع الواسع المتشعب يقدمه أحمد الخميسى فى شجاعة واختصار واقتصاد فى رسمه وطرح جوانبه وتسجيل وقائعه والإشارة إلى الأعمال الأدبية التى تناولته.

لقد بلغ الضيق بالأحداث والقتل والعنف المحيط بنا وبلغ العجز عن الفعل والمقاومة بل وحتى التفكير مداه، إلى أن قرر الكاتب الحساس والمسئول عن متابعة الأحداث عندما يفتح التليفزيون فلا يجد فى الأخبار إلا أطفالا قتلى أو مصابين وملفوفين فى شاش أبيض أن يسارع إلى إغلاق التليفزيون، لكن أطفال التليفزيون يهربون من الشاشة لكى يختفوا فى حجراته وصالة بيته. بهذه الطريقة يعبر أحمد الخميسى فى " بط أبيض صغير " عن مشاعره وقضاياه، ولا وقت للحديث عن الشكل، لكن براعة الخلط بين القصة والمقال تظل لافتة للنظر.

يقول الخميسى فى مقدمة كتابه:

"لا أزعم أن تلك المقالات التى كتبت على مدى عشر سنوات مساهمة نظرية أو فلسفية فى موضوع العلاقة بين مسلمى مصر وأقباطها وهو موضوع كتب فيه الكثير، لكن كل ما أردته أن أدفع مع الآخرين

الباب المغلق ولو دفعة صغيرة عَلَّه ينفتح فى الضمائر والنفوس". والباب المغلق هو قصة "هدى" ابنة بواب العمارة الذى مات وتركها وحيدة فى هذه الدنيا. وفى الدور الأول من العمارة يسكن الأستاذ موريس وزوجته السيدة جانيت، لا بنت ولا ولد لهما، وحيدان فى الدنيا، وقد دخلت هدى إلى شقتهما وحياتهما وأحبتها المدام وقدمت لها الرعاية وارتاح الأستاذ موريس لوجود هذا النفس الطيب فى البيت. لكن الشارع والدنيا فى الخارج قررت أن هدى مسلمة، وأن مدام جانيت والأستاذ ليسا كذلك، فظل الشارع بمن فيه البقال والصيدلى والمعارف ينكشون بهذا الغباء فى تلك الصورة الإنسانية التى تكاد تصنع مستقبلا لفتاة ضائعة وتؤنس وحدة شيخوخة وحيدة. خاف الأستاذ موريس من كلام أو غباء الناس، وهكذا كما يقول أحمد الخميسى فى الباب المغلق :

"فى اليوم الثانى والثالث والرابع كرر موريس ما قاله، وهو يوضح لـ "هدى" أنه يحبها مثل ابنته بالضبط، لكن البنت لم تعد تعير كلماته أى اهتمام، تسمع ما يقوله وتنصرف إلى الصالة تراجع ما علمته إياها مدام جانيت من حروف الكتابة مرة أخرى، وأخيرا أخذ يجذبها من ذراعها بقوة ووضعها خارج

باب الشقة. البنت ملتصقة بالباب المغلق تخمشه كالقطة وتبكى: أنا زعلتك فى حاجة ياعم موريس؟ والنبى دخلنى.. دخلنى والنبى. وفرت دموع عم موريس وراء الباب المغلق وهو يقول: ما أقدرش يابنتى، والعدرا ما أقدر، والنبى والعدرا، والنبى والعدرا، والنبى، والباب مغلق.. وخلف كل ناحية شخص وحيد فى أمسّ الحاجة للآخر.

أما "سعاد التى فى خاطرى" فهى صاحبة العيون الخضر التى صورتها إلى عقل الكاتب من الطفولة البعيدة، من بيوت شارع السروجى الضيق التى كانت قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة، وسكان كل بيت معروفون، هذا بيت نوال وأحمد، وذاك بيت شريفة ثابت بنت المحامى، ويقول الخميسى: "ولا أدرى من من الأولاد أشار ذات مرة إلى بيت سعاد ونصحى وسمير فى غيابهم قائلا: بيت المسيحيين!. حيرتنى الكلمة وجعلتنى أشعر بأن ثمة شيئا مجهولا يميز أولئك الناس عنا أو يميزنا عنهم. سألت جدتى عن معنى الكلمة فاكتفت بهزة رأس وهى ترتق سروالا قديما وقالت: نحن مسلمون وهم مسيحيون وخلاص!.

بعد أحداث الإسكندرية الطائفية قال بيان وزارة الداخلية إن محمود صلاح الدين الذى هاجم الكنيسة يعانى اضطرابًا نفسيًا، وبعبارة أخرى فإنه مختل.

يقول الخميسى: "وهذا تفسير أسهل بكثير من القول بأن الواقع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والثقافى هو المختل"!

* * *

علاء الديب - جريدة القاهرة

١٩ فبراير ٢٠٠٨

* * *

-٣-

أحمد الخميسى يقدم كتاباً جديداً عن أزمة أقباط مصر

القدس العربى - لندن

محمود قرنى

يفتح الدكتور أحمد الخميسى بابًا واسعًا على ريح عاتية، أرادته الأزمات المجتمعية والسياسية فى مصر أن يكون مغلقا.

لكن تلك الدعوة الحميمة أحيانا والجارحة أحيانا أخرى التى يدفعها الخميسى للأمام تعنى أن أزمة العلاقة بين الأقباط والمسلمين تستحق أكثر من القبلات الفارغة التى يتبادلها البابا وشيخ الأزهر تحت الإشراف الرئاسى، والتى باتت لا تعنى شيئا ذا

بال بالنسبة لجموع المصريين، بل ربما بات التأكيد الدائم عليها يعنى انتشار المرض فى الجسد المتهالك.

قدم الخميسى كتابًا فريدًا فى رقة نبرته، وتنوع خطابه، فهو يتراوح بين الإنسان المغرق فى الإنسانية، والتنظيرى المغرق فى الوعى بجذور المشكلة، وذلك تحت عنوان الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين فى مصر، وقد غلبت الخميسى أجواؤه القصصية التى أنجز فيها مجموعة فريدة هى قطعة ليل، وها هو يفتتح كتابه بقصة فريدة وفاتنة وجارحة تحت عنوان "الباب المغلق"، وهى قصة ربما كانت تمثل أفضل المداخل للأزمة التى يتناولها الكتاب.

يتناول الدكتور أحمد الخميسى قصة الصبية اليافعة هدى التى ما زالت فى سن الطفولة، فهى ابنة بواب من أقصى جنوب البلاد يعيش حارسًا لعقار فى حى الظاهر، توفيت زوجته وتركت له ابنتهما هدى الطفلة التى كانت تقوم بقضاء معظم حاجيات السكان نيابة عن أبيها المريض بالفشل الكلوى، حيث وافته المنية نتيجة هذا المرض، فما كان من السيد موريس المحاسب بأحد البنوك والسيدة جانيت زوجته - وهما قبطيان يسكنان الطابق الأول بنفس العمارة - إلا أن آويا الطفلة هدى وقاما حيالها بما يفعله الأهل فى

مثل هذه الظروف، بل فكرت مدام جانيت - التى لم تنجب أطفالا لزوجها موريس - أن تجهز غرفة لهدى بغرض الإقامة الدائمة، غير أن الأقاويل التى سادت الشارع كله والتى تناقلتها الألسن أن موريس وجانيت سوف يقومان بتنصير هدى، وعندما شعرت الأسرة الصغيرة أنها ستكون مستهدفة عما قريب، لم يكن أمام الأستاذ موريس إلا أن يطرد هدى، ويرصد الخميسى مشهدًا مأساويًا للبنت التى كانت ترفض أن تفارق أسرة أحبتها وكذلك الأسرة التى كانت تحترق مشاعرها وهى تفعل ذلك بالبنت، غير أن الأستاذ موريس يغلق الباب من الداخل وهو يتمزق ألمًا، وهدى فى الخارج تدق الباب بعنف وتبكى، بكاء مرًا.

هذا هو الباب المغلق الذى أشاع ألمًا مبكرًا فى الكتاب الجديد لأحمد الخميسى، الذى لا يكتفى بمثل هذه الرواية التى جاءته من الواقع، بل يرصد لنا فى ثانى تلك الأقاصيص "حكاية سعاد التى فى خاطرى" تلك الطفلة فائقة الجمال التى جمعته بها علاقتهما كجيران، وكيف أن سنوات البراءة الأولى زرعت مساحة هائلة من الحب والتواصل عكس ما حدث فى السنوات التالية من نضج ووعى فتحا مسامع الفتى على تفرقة لا معنى لها يلعب فيها الدين السبب

الأساسى دون وعى من عامة الناس، وهنا يرى الخميسى أن تلك الثقافة التى تقوم على التفرقة ظلمت الأقباط كما ظلمت المسلمين، ويقول فى ذلك: أدركت أن أخطر ما يهدد الثقافة المصرية هو التفرقة التى ينتشر بها من طفولتنا؛ لأن المسلمين هنا ينشئون على ثقافة إسلامية فحسب، - بالمعنى العام للثقافة - بينما ينشأ معظم الأقباط بدورهم على ثقافة مسيحية فحسب، لا أحد يعلمنا منذ الطفولة أن تاريخ مصر وحدة لا تتجزأ، وأنه لا يمكن لمصرى أن يلم بتاريخ بلده من دون أن يتعرف إلى هاتين الثقافتين ومن دون أن يتشربهما وجدانه، ومن ثم فإن التفرقة فى التربية فى الصغر، والطائفية فى الكبر عقاب يحل ليس فقط بالأقباط ولكن بالمسلمين أيضا لأنها تحرمهم من اكتمال شعورهم بالوطن.

هذه هى مجمل الرؤية الإنسانية أولاً والفكرية ثانياً التى ينطلق منها كتاب الدكتور الخميسى، وهى الرؤية التى توضحها بجلاء عدة دراسات تالية شملها الكتاب، حيث يتناول الكاتب ذلك الحادث المؤسف الذى روجته صحيفة النبأ فى عام ٢٠٠١، حول راهب دير المحرق بأسيوط الذى اغتصب العديد من النساء، وهو الحادث الذى أثار فتنة كبرى راح ضحيتها رئيس تحرير الجريدة ممدوح مهران، بينما كان الحادث

قديمًا، وتم شلح الراهب وطرده من الكنيسة وهى معلومات لم تشر إليها الجريدة، وتشكك الخميسى فى مقاله فى الدوافع وراء النشر، وعدم الإشارة إلى تاريخ الحادث والعقوبات التى وقعتها الكنيسة على الراهب، وكذلك كيفية حصوله على الصور، ويقول هنا: إن الموضوع يثير أربع قضايا مهمة، الأولى: تتعلق بمفهوم حرية الصحافة، والثانية: خاصة بتوقيت النشر والجهة التى وقفت خلف ذلك وأمدت الصحيفة بصور من سجلات تحقيق رسمى وأهداف هذه الجهة من ذلك فى ظل ظروف اجتماعية وسياسية محتقنة، والثالثة: تخص انحسار الفكر العلمى بشكل عام، والقضية الرابعة هى قضية الطائفية التى اختفت مع أحداث الكشح لتعود من جديد مع هذه الحادثة، ويخلص الخميسى فى مقاله إلى أن التعليم والإعلان عندما يتجاهلان تاريخ الأقباط إنما يجعلانه موضوعًا مبهما فى الوعى يصعب تصوره، وهو ما يراه يشكل خطورة مزدوجة على الوحدة الوطنية والثقافة المصرية التى يقول إنها على هذا النحو ترى بعين واحدة.

وفى مقال آخر يتناول الخميسى معنى شائكًا آخر هو غياب الأدب الذى يتناول أوضاع الأقباط، ويشير إلى أن أدبًا من هذا النوع لم يوجد سوى فى روايات كتاب مسلمين مثل إحسان عبد القدوس ونجيب

محفوظ، وأن النماذج القبطية التى ظهرت لدى كاتب قبطى مثل إدوار الخراط ظهرت على استحياء، ويدعو الخميسى إلى ضرورة ملء هذا الفراغ، ويقول إن ثمة أهمية للتعبير الأدبى عن القضايا القبطية، ويرى كذلك أن العوالم المعنوية والفكرية والفردية والجماعية لهم يجب الا تبقى أسيرة للعتمة والصمت.

ويقول: إن ذلك يجعلها شيئًا مجهولاً، قابلاً لإضافات الخيال بالسلب والإيجاب؛ لأن الطبيعة تكره الفراغ، ومن ثم تملأه - على الأغلب - بالأوهام والتصورات المريضة عن الآخر، ويدعو الخميسى فى نهاية مقاله إلى دعم أدب مصرى متعدد ومتنوع حتى لا ننتهى إلى رفع شعارات ممجوجة عن الأدب الإسلامى والأدب القبطى.

وفى مقال من أهم مقالات الكتاب يتناول الخميسى موضوع المطالب القبطية التاريخية لإقرار نوع من المساواة المرجوة، وذلك تعقيبًا على أحداث الفتنة الطائفية بمدينة الإسكندرية فى العام الماضى.

يجمل الخميسى ويتبنى ما يطالب به الأقباط ويدعو القوى السياسية لمؤازرته والوقوف خلفه وممارسة الضغط المطلوب على الحكومة لتنفيذه.

يقول الخميسى إن ذلك لكى يتحقق لابد من:

نزع خانة الديانة من البطاقات وجوازات السفر؛ لأن المواطن يعرف بجنسيته وليس بدينه ومساواة الأقباط بغيرهم فى أوقات البث الإعلامى والتليفزيونى لطقوس الأقباط الدينية، والإلغاء الكامل لقرارات الخط الهمايونى، وإعادة أراضى الوقف المسيحية للأقباط، ووقف كافة أشكال التمييز فيما يتعلق بشغل المناصب العليا، ووضع القوانين الكفيلة بنبذ الكراهية على المنابر وفى المدارس والنظام التعليمى، ووضع مواد دراسية تعيد الاعتبار للتاريخ المصرى باعتباره تاريخًا واحدًا.

يتضمن كتاب الدكتور الخميسى إلى جانب ذلك العديد من المقالات المؤثرة التى وصلت إلى سبعة عشر مقالا، منها وحش التمييز، أيام عزية واصف وأيام طه حسين، جبهة إسلامية مسيحية، الدولة والنزعة السحرية، الطائفية إلى متى، الطريق للخروج من الأزمة، من أجل القرآن، المسألة القبطية وما جرى فى الإسكندرية.

القدس العربى - لندن

١٣ يونيه ٢٠٠٨

* * *

-٤-

باب قوس قزح - الأخبار-

الباب المغلق

ثناء أبو الحمد

دراسة رائعة شائقة قدمها الكاتب الكبير د. أحمد الخميسى فى كتاب بعنوان" الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين " رصد فيه على مدى عشر سنوات مظاهر الطائفية البغيضة التى تهدد الوحدة الوطنية بعنصريها المسلم والمسيحى. ويشبهها بوجود باب مغلق بين عنصرى الأمة وأنه أراد أن يدفع مع الآخرين الباب المغلق ولو دفعة صغيرة عله ينفتح فى الضمائر والنفوس. ويرى خطورة رؤية الوطن بعين واحدة سواء

عينا ترى الوطن مسجدًا فقط أو تراه كنيسة، وأن تاريخ الوطن هو ضفيرة من الكفاح المشترك لكل أبنائها وإبداع المسلمين والأقباط. ويتطرق لدور الأقباط المشرف لبلدهم منذ حملة نابليون وحتى حرب أكتوبر، هذا الدور الذى لابد من كشفه وتسليط الضوء عليه، فكم من مسيحيين تبرعوا لبناء المساجد، ومشاركة مبدعين مثل خليل مطران وسلامة موسى ولويس عوض وألفريد فرج.. وغيرهم كثير ممن لا تحصى أفضالهم على الثقافة والوطن.

لابد من تضافر الجهود لوأد أى مظهر من مظاهر الطائفية البغيضة التى تهدد سلامة الوطن، خاصة أن ديننا يحث على حسن المعاملة والبر مع أهل الكتاب، وحذر نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم من أذى الذميين.

واستعرض الخميسى مجموعة من الأعمال الأدبية التى تكشف عن شخصية المسيحى الذى قد يخفى ديانته تحت الشعور بترصد المسلمين له وملامتهم على هذه المسيحية. هناك أزمة روحية عميقة تهتز لها القلوب.

وأقول مصر تتسع لنا جميعا، نتنفس من هواء واحد ونشرب من ماء واحد، وتظللنا سماء واحدة وتاريخ واحد، والله سبحانه وتعالى لم يخلق أهل الكتاب لينكل بهم المسلمون كما قال أحد المشايخ

الأجلاء. شكرا للكاتب الكبير على هذه الدراسة التى تعد رسالة حب واعتذار عما فعله السفهاء منا مسلمين ومسيحيين.

ثناء أبو الحمد

جريدة الأخبار. باب " قوس قزح "

٢٣ فبراير ٢٠١٠

* * *

-٥-

أخبار الأدب

"الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين" ودور المثقف فى المجتمع

حسين عيد

هذا إصدار جديد، للكاتب والناقد والمبدع المعروف أحمد الخميسى ويقع الكتاب فى ١٤٥ صفحة من القطع الصغير، ويتكون من سبعة عشر مقالا، كان طول أقصرها صفحتين، وأطولها تسع عشرة صفحة (خاصة بدراسة نقدية حول "الأزمة فى الأدب")، وإن تراوحت أطوال أغلبها ما بين أربع وخمس صفحات (١١ مقالا).

يثير الكتاب قضية على جانب خطير من الأهمية، حول (دور) المثقف في المجتمع المعاصر، حين لم ينعزل أحمد الخميسى بعيدا عمّا يجرى فى المجتمع من ظواهر، بعد أن أسس له مكانا متميزا كمبدع وناقد أدبى ومترجم فى عالم الأدب، بل آثر الانغماس فى أحداث الواقع الجارية، وأن يكون له (رأى) فيها، تجلى فى هذه المقالات، التى تتناول ظاهرة الفتنة الطائفية بين الأقباط والمسلمين، وذلك من خلال ثلاثة محاور رئيسة، هى: أحداث ووقائع (فى ست مقالات)، الجانب الأدبى (فى سبع مقالات)، وتاريخ ومقترحات (فى خمس مقالات).

أحداث ووقائع:

تكوّن هذا المحور من ستّ مقالات كاشفة لجوانب الأزمة، هى "المسألة القبطية وما جرى فى الإسكندرية"، "الطائفية..إلى متى؟"، "وحش التمييز"، "الأقباط والتعليم والإعلام"، "أيام عزية واصف وأيام طه حسين"، و"الدولة والنزعة السحرية"، كتبت كلها بشكل مواكب لبعض ما جرى فى المجتمع المصرى من أحداث طائفية، سواء ما جرى منها فى الإسكندرية أكثر من مرّة خلال عام ٢٠٠٥، أو مسترجعا ما حدث

فى الماضى أيضا من أحداث فى الخانكة عام ١٩٧٢ والزاوية الحمراء عام ١٩٨١، وقرية صنبو عام ١٩٩٤، وكفر دميان فى الشرقية عام ١٩٩٦، وأبو قرقاص بالصعيد عام ١٩٩٧، والكشح بالصعيد أيضا عام ٢٠٠٠، أو فى حالة حكاية راهب دير المحرق بأسيوط وما أُثير حولها من وقائع مؤسفة.

الجانب الأدبى:

امتدت مقالات هذا المحور الستّ لتشمل معظم ملامح العالم الأدبى، بدءا من إبداع صريح فى القصة القصيرة (قصة "الباب المغلق")، ثم تحوّل تدريجى إلى النقد والتحليل وذلك إمّا بتناول واقعة صغيرة من عالم الطفولة بالشرح والتحليل ("سعاد التى فى خاطرى")، وصولا إلى تلك اللحظة الفارقة من طفولته التى تعرّف فيها على وجود ذلك الآخر المسيحى، أو باستعادة قصة لأديب ناشئ لإثارة قضية أهمية غوص الكتاب المسيحيين فى عالمهم الخاص ("قصة الوشم: الأقباط والأدب")، أو بتناول رواية "أحزان بلدنا" لمكرم فهيم بالنقد والتحليل، وبخاصة ما احتوت عليه من طرح جرىء وصريح لمشكلات النسيج الواحد. وأخيرا انتقال واضح إلى المقال الأدبى تارة لإثارة قضية حرية التعبير الأدبى وذلك فى مقالة "الدين والأدب"، أو

بغوص نقدى فى كتاب "الحوار المسيحى الإسلامى"، وصولا إلى الدراسة النقدية الطويلة للأعمال الإبداعية التى تعاملت مع تلك القضية ("الأزمة فى الأدب المصرى")، فى أعمال إدوار الخراط ويوسف الشارونى وفاروق خورشيد وغوريال زكى غوريال وعلاء الأسوانى وسعيد سالم وبهاء طاهر.

وكان أحمد الخميسى موفقا أشد التوفيق فى اختيار قصة "الباب المغلق" لتكون مفتتحا للكتاب، فهى قصة بديعة، كلّ شىء فيها محسوب فنيا بدقة بالغة، إلى جانب أنها تعكس بصدق جوهر الأزمة بين طرفَى الأمة، وذلك حين تقدم ببساطة آسرة علاقة بشرية لها طرفان: الطرف الأول "الأستاذ موريس المحاسب فى أحد البنوك وزوجته مدام جانيت، التى تعمل فى مدرسة تعليم لغات أجنبية قرب المنزل. الاثنان تجاوزا سن الإنجاب دون أن ينجبا، لكنهما قانعان بحياتهما التى تمضى فى هدوء يتخللها نزهات وزيارات يوم الإجازة"، لينتقل بعد ذلك إلى الطرف الثانى الطفلة هدى "فى العمارة محمود البواب، الذى جاء من أسوان منذ زمن، ويسكن أسفل السلالم، توفيت زوجته وتركت له ابنة وحيدة صغيرة هى هدى، كانت تشترى للسكان وخاصة لمدام جانيت...".

هنا، وجهان متقابلان: موريس وزوجته شخصان بالغان بينما هدى طفلة يتيمة، الزوجان توفر لهما وظيفتاهما دخلا معقولا بينما تعيش الطفلة على تلبية طلبات السكان وبخاصة مدام جانيت. يسكن الزوجان شقة بالطابق الأول بينما تقطن هدى حجرة فى بير السلم تأكيدا لوضعها الاجتماعى.

تظهر إرهاصات ما سيحدث فى ملمحين: الزوجان لم ينجبا أىّ أنهما وحيدان وهدى وحيدة تفتقد أمها المتوفاة وتعيش فى كنف أب مريض، إضافة إلى أنه يتضح من اسميهما أنهما قبطيان بينما هدى مسلمة.

هنا، أيضا إعداد جيد لمسرح الأحداث، فكلّ الظروف مواتية لنشوء علاقة بين الطفلة اليتيمة والزوجين الوحيدين. وهو ما تحقق تدريجيا فعلا، بعد أن اعتاد الزوجان وجودها، حتى إذا ما انصرفت فسرعان ما "ينسل شىء ما من الجو، ويحلّ شعور خفيف قاتم فى الصالة وعلى كسوة المقاعد، ويسرى مثل الدخان فى الحجرات الأخرى، شعور بالوحدة والأسف". ساعد على تطوّر هذه العلاقة موت الأب، وعدم وجود أىّ أقارب له، حتى أصبحت إقامتها عند الأستاذ موريس أمرًا مسلمًا به. واشترت لها جانيت

فستانًا وحذاء جديدين، بل فكرت فى وضع سرير لها فى الغرفة الصغيرة.

وإذا ببوادر الأزمة تغشى الجو، حين تفشّت شائعة بأنّ "الأستاذ موريس أخذ البنت الصغيرة وح يخليها نصرانية! ح يعلمها على طريقتهم!"، وبدأت دوائر الحصار تضيق حول الأستاذ موريس بدءًا من سؤال من أكثر من جار حول أخبار البنت هدى. وعندما تكرر السؤال أحسّ الرجل بالخطر، فحكى لزميل له عما جرى فنصحه بأن يطرد البنت على الفور، "لكى لا يتسبب بقاؤها عنده فى مشكلة فى الشارع والحى وربما أبعد من ذلك النطاق!" استنكر موريس أن يطردها؛ لأنه كان يعى أنها تحبهما وأنها مستريحة عندهما. لكن العيون "بدأت تلاحقه على امتداد الشارع بنظرات تترقب قراره، وتحثّه عليه. ثم أصبحت النظرات تنطوى على وعيد مكتوم، وبدأت الكلمات العابرة تصبح أكثر وضوحًا وحدة".

حكى موريس لزوجته كلّ شىء، فجلست على حافة السرير وبكت طويلا، ثم نهضت ومضت إلى المطبخ، ونادى الرجل هدى، لكنه ظلّ صامتًا فى حضرتها لفترة، ثم استجمع شجاعته، وطلب منها أن تغادر الشقة، فبكت ورفضت أن تغادر، وعندما رأت إصراره جرت مستنجدة بجانيت فى المطبخ، فأشاحت جانيت

بوجهها كأنها لم تسمعها. وفى الأيام التالية كرر موريس ما قاله، وأخيرًا جذبها من ذراعها بقوة ووضعها خارج الشقة. وظلت البنت تخمش الباب المغلق كالقطة، وتبكى وترجوه وتستحلفه بالنبى كى يدخلها، فيرد عم موريس والدموع تفرّ من عينيه: "ما اقدرش يا بنتى.. والعدرا ما اقدر والنبى والعدرا والنبى" .

الباب، هنا، حاجز مانع للتلاقى، بعد أن أصبحت البنت مطرودة من جنة المأوى، على الرغم من أن "خلف كل ناحية شخص وحيد بحاجة إلى الآخر"، لا يستطيع أىّ من الطرفين تجاوزه، إلاّ بتوافر شروط معينة. الشروط ليست مرهونة بإرادة الطرفين وحدهما، بل هى رهن بقوى أكبر تحكم المجتمع ككل. إنّها شروط أزمة أكبر تهيمن معطياتها على الواقع. وسيظل الباب قائما طالما استمرت هذه الآلية تحكم، لن ينتهى أمرها إلا عندما ينتشر الوعى ونقتنع جميعا بأننا إخوة داخل مجتمع واحد، بغضّ النظر عن اللون والجنس والدين، وإلاّ فجحيم الفرقة والعزلة والأحزان بانتظارنا جميعا!

تاريخ ومقترحات:

تطلّ مقالات هذا المحور تارة على تاريخنا القديم مستقرئة ما خطّه الأقدمون من صفحات ناصعة فى

هذا السياق، وتارة أخرى تقترح بعض أوجه العلاج.
تضمّن هذا المحور خمس مقالات، هى: "وحش التمييز"، "الطريق للخروج من الأزمة"، "رحلة إلى مستقبلنا"، "من أجل القرآن"، و"جبهة إسلامية مسيحية".

ونورد فيما يلى بعضًا مما ورد فى هذا السياق:

من الملاحظ أن حدّة الظاهرة الطائفية اختفت فى تاريخ مصر فى اللحظات التى شهدت فيها مشروعا قوميا للنهضة. حدث ذلك عند المواجهة الشعبية المشتركة للغزو الفرنسى عام ١٧٨٩، حين رفض الأقباط الانضواء تحت لواء الجنرال يعقوب، وأداروا وجوههم لمساعى بونابرت لبذر بذور الخلاف بينهم وبين المسلمين، وواجهوا مع إخوانهم المسلمين الغزو فى القاهرة والصعيد.

فى سبتمبر من عام ١٩٢٣ عند عودة سعد زغلول من منفاه، قال فى أول خطاب له: "رصاص الإنجليز لم يميز بين قبطى ومسلم من أبناء مصر".

كتب بديع خيرى وغنى سيد درويش:

اسمع اسمع منى كلمة
إن كنت صحيح بدّك تخدم..
مصر أم الدنيا وتتقدم
لا تقول نصرانى ولا مسلم

اللى أوطانهم تجمعهم
عمر الأديان ما تفرقهم.

مراجعة المناهج التعليمية، بحيث تشتمل على قيم وطنية جامعة ترسخ الوعى بأن الدين لله والوطن للجميع. مناهج تعتمد فيها مادة التاريخ حقيقة أن مصر ضفيرة من الكفاح المشترك لكلّ أبنائها، وأن تاريخها إبداع للمسلمين والأقباط.

إذا كان قد تم الإعلان فى القدس الشرقية عن تكوين جبهة إسلامية مسيحية، لحماية الآثار الإسلامية والمسيحية المقدسة، ألسنا أولى بتشكيل جبهة إسلامية مسيحية مصرية لحماية قيمنا المعنوية؟

تنظيم الناس فى مؤسسات أو أحزاب أو جمعيات تدافع عن مصالحهم بما يمنع انحدارهم إلى الصراع الطائفى.

أن تدوى أصوات خطباء المساجد بكل ما يحفل به تاريخ مصر من صور التآخى والتآزر بين المسلمين والأقباط.

يظلّ على المثقفين واجب الدعوة لمؤتمر أو أكثر ليضعوا بعد نقاش مطول توصياتهم صراحة بهذا الشأن، مشكّلين قوة ضغط قادرة على أن تقود الرأى العام والدولة إلى تبنى استراتيجية حقيقية لنزع جذور الإرهاب.

* * *

أحمد الخميسى

سيرة ذاتية

د. أحمد الخميسى. كاتب صحفى وقصاص مصرى. مواليد القاهرة ١٩٤٨. حصل على دكتوراه فى الأدب الروسى من جامعة موسكو عام ١٩٩٢. عضو نقابة الصحفيين واتحاد كتاب مصر. عمل فى الصحافة بدءًا من عام ١٩٦٤، وظهرت قصصه القصيرة فى العام ذاته فى المجلات المصرية، وقدمه الكاتب الكبير يوسف إدريس لمجلة الكاتب المصرية عام ١٩٦٧. يكتب بانتظام فى العديد من الصحف المصرية والعربية. متفرغ للعمل الأدبى والصحفى.

صدرت له الكتب التالية:

- "الأحلام، الطيور، الكرنفال "مجموعة قصصية عام ١٩٦٧.
- "معجم المصطلحات الأدبية" ترجمة عن الروسية

عام ١٩٨٤ - "المسألة اليهودية" للأديب العالمى دوستويفسكى - مجلة أدب ونقد - العدد رقم ٦٩ - مايو ١٩٩١، وأعادت مجلة "زرقاء اليمامة" عام ١٩٩٦ نشر نفس الترجمة.

- "كان بكاؤك فى الحلم مريرًا" قصص عن الروسية عام ١٩٨٥.

- "قصص وقصائد للأطفال" ترجمة دمشق عام ١٩٩٨.

- "نجيب محفوظ فى مرايا الاستشراق" ترجمة وإعداد عام ١٩٨٩.

- "أسرار المباحثات العراقية السوفيتية فى أزمة الخليج"، تأليف وترجمة عام ١٩٩١.

- "موسكو تعرف الدموع" دراسات القاهرة ١٩٩١.

- "حرب الشيشان" ١٩٩٦عن دار الاتحاد بالإمارات.

- "نساء الكرملين" ١٩٩٧.

-" رائحة الخبز" قصص مترجمة ١٩٩٩.

- "قطعة ليل" مجموعة قصصية من تأليفه فى يوليو ٢٠٠٤ عن دار ميريت بالقاهرة .

- "الباب المغلق بين الأقباط والمسلمين" - الهلالى للنشر - القاهرة ٢٠٠٧.

- " كنارى " مجموعة قصصية من تأليفه . كتاب اليوم . أخبار اليوم . القاهرة . ديسمبر ٢٠١٠ .

* * *

- بريد إلكترونى / Ahmad_alkhamisi@yahoo.com

الفهرس



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب